السنة الرابعة العدد الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الثالث « السنة الرابعة » ١٩ من صفر عام ١٣٨١ هـ — ١ أغسطس ١٩٦١ م

يجب أن نوفر للذاهبين إلى بيت الله

عناية أكبر، ورعاية أتم

(٢)

لسماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان

تحدثنا في العدد الماضي، عن الصعاب والمشقات والأهوال، التي يتعرض لها حجاج بيت الله، وضربنا للناس الأمثال . . . وقلنا إن العالم الإسلامي بأسره يعد مسئولا عن فواجع الحج ومآسيه وما يحدث فيه، وإن عليه لتبعات يجب أن ينهض بها، لتكون تلك الفريضة المقدسة كما أرادها الله، هدى وأمنا، ورياضة للروح وإلهاماً، ومتاعا للقلب، وزكاة للإيمان، ومنافع للناس.

وكان لما كتبناه ولما كتب سوانا، من أصحاب الأقلام المؤمنة الهادفة صداه، فقد

أذاعت البرقيات العالمية ، ونشرت الصحف العربية ، فى الأسبوع الماضى أن الحكومة السعودية ، قد قررت إنشاء وزارة لشئون الحج .

وتلك بداية طيبة ، بداية تصلح لأن تكون نقطة انطلاق فى الطريق الطويل ، للنهوض بالحج ومقدساته ، حتى نرتفع به وبرسالته إلى المستوى الإنسانى اللائق بهذا الأمر الإلهى ، الذى جعل من الحج العنوان العالمى لرسالة القرآن .

فى الحج يتجلى وجه الأمة الإسلامية ، فى الاطار الذى يمثله مستواها ومقامها فى الحياة .

فى المشاعر المقدسة يحتشد مئات الألوف من سائر أنحاء العالم الإسلامى ، يمثلون مستواه الثقافى والخلقى والانسانى ، ويمثلون الآراء والافكار والنظم ، التى تهيمن على حياتهم ، ويتمثل فيهم المستوى الحضارى لشعوبهم .

وبذلك يبدون أمام العالم كله ، العنوان المعبر عن الإسلام ورسالته وحضارته .

وهو عنوان لم يعد مشرفا لنا ! ؟ ولم يعد معبراً عن ديننا ! ؟ ولم يعد فيه ذلك السناء المتألق المصور لأمة القرآن ، التى أرادها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

ولو شهدت مجمع الحج الأكبر الصحافة العالمية أو اطلعت عليه عيون غير إسلامية لجعلت منه ومنا مادة خصبة ، لأسوأ دعاية فى التاريخ ! ! ؟

ومن هنا أصبح واجبنا الأكبر ، واجبنا الإنسانى ، واجبنا كشعوب نامية ناهضة تريد أن تأخذ مكانتها تحت الشمس .

وواجبنا أولا وقبل كل شىء ، حيال عقائدها ودينا أن نعمل سريعا وسريعا جداً ، حتى ننهض بالحج كشعيرة مقدسة ، تصل الإنسان بربه فى أقدس الأيام وأقدس الأمكنة .

وكعنوان من عناوين ديننا تتجلى فيه شخصيتنا الإسلامية المعبرة عن نهضتنا ، وكمؤتمر على مستوى عالمى نتدارس فيه شئوننا وقضايانا وأهدافنا ، ونحقق به وحدتنا ، وحدة الشعور والإحساس والعاطفة . ووحدة القلب والعقل والروح ، ووحدة التضامن الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .

لقد بدأت الحكومة السعودية الطريق ، بإنشاء وزارة للحج ومن واجبنا

فى الجمهورية العربية ، ونحن طليعة الفكر الإسلامى ، ونحن قلب العروبة وعقلها ولسانها ، أن نقدم النموذج الكامل ، لكل شعب عربى إسلامى .

وفى طليعة التنظيم الإصلاحى الهادف ، أن نرتفع بمستوى الحجيج خلقياً وعلميا وصحيا وماديا .

فلم يعد مستساغا أن يخرج للحج هذا الشتيت الهائل العجيب ، من العجزة والمحترفين والمتجرين من الرجال والنساء ، الذين يملئون طرقات مكة والمدينة ، يفترشون الأرض ، ويسدون الطرقات ، ويساومون الناس ، يمدون أيديهم فى ذلة طلبا للعون والمساعدة .

ولم يعد مقبولا أن تذهب هذه الألوف الكثيرة المتدفقة من كل أفق ، لتفتك بها ضربات الشمس ، وتمرح فى أجسادها الأمراض دون أن تلق الرعاية الطبية الكاملة ، المسعفة المنقذة .

ولم يعد إنسانيا أن نرى المئات والألوف وعشرات الألوف لا يجدون مسكنا ولا ماء ولا مكانا يوارون فيه عوراتهم ، وهم يقضون الضرورة الملحة التى تعقب الطعام والشراب .

بل لم يعد الضمير الإنسانى يطيق أن يرى ، هذا الهرج والمرج القاتل !؟ والتزاحم والتوائب الرهيب الفاتك ، حول المشاعر والمناسك المقدسة ، فلا ترى إلا صياحا وبكاء ، وتصدية وإغماء ، تفسد كل معنى روحى لهذه الشعائر ، وتذهب بكل ريح إيمانى حول هذه المقدسات !!؟

ويجب أن نحدد المستوى المالى والصحى والخلقى ، للذاهبين إلى بيت الله .

ويجب أن نعد البعثات الطبية الكبيرة ، التى ترافق الأفواج الذاهبة إلى الأرض المقدسة .

ويجب أن تنشأ هيئة تتولى إعداد الأماكن الصالحة فى مكة والمدينة وجدة ، لحجاجنا قبل أن نرسلهم ليكونوا فريسة سهلة ، للسماسرة والمطوفين ، وصبيانهم وأتباعهم !!!

ثم يجب قبل كل هذا وفوق كل هذا أن نرسل المرشدين الدينيين الذين يرافقون الحجاج ، ليشرحوا لهم معانى الحج ومقدساته ، وشعائره وآدابه ، وسننه ومناسكه ،

وأهدافه الدينية والدنيوية ، حتى تتجلى هذه الأهداف والمثل ، فى حركاتهم وسكناتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم ، وعلاقاتهم الإنسانية العامة .

كما يتحتم أن ينشأ تفاهم عام بين شعوب العالم الإسلامى وحكوماته ، على أن تمثل فى الحج الشخصيات العلمية والاقتصادية والتربوية والسياسية وأن تعد الأماكن الفسيحة للاجتمعات على هذه المستويات ليتعارفوا كما أراد الله ، وليتدارسوا فيما بينهم مشاكلهم ، ويبتدعوا الحلول لها ، الحلول المشتركة التى تدعمها أخوة الحج ، وترفرف عليها روحانيته ، وتباركها يد الله التى تظل الجميع فى بيته المقدس .

وإن نظرة واحدة إلى خطبة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فى حجة الوداع ، لترسم لنا الطريق العريض المضىء لجانب ضخم من رسالة الحج وأهدافه .

فقد وقف صلوات الله وسلامه عليه فى يوم عرفات ، بين عشرات الألوف ، ليرسم لهم فى يوم عيدهم الأكبر ، وفى مجمعهم المقدس الطاهر المبارك ، يرسم لهم الخطوط العريضة لدينهم ونياهم .

ومن فوق هذا المنبر الإلهى ، أعلن رسول الله حقوق الإنسان ، وأعلن أخوة الإسلام ، بل وأخوة الإنسانية كافة .

« كلكم لآدم ، أخوة من أب وأم ، الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

كلمات مضيئة مرشدة ، وضعت الإنسانية كافة على خط واحد هو الصراط المستقيم ، فلا ألوان ولا أجناس ، تمزق البشرية ، وإنما الجميع أخوة من أب وأم .

ولا طبقات تتصارع وتتفاخر بالمال والألقاب والنسب ، فالفضل بين بنى الإنسان ، إنما يقرره ويحدده شىء واحد ، هو التقوى ، والتقوى فى لغة الدين ، هى الخلق الكريم ، والأدب المثالى ، والعمل المتواصل النافع للناس ، ولتقدم دنياهم وتطورها .

ثم يمسح الرسول بيد الرحمة والإنصاف والمحبة قلوب الناس ليزيل منها الأحقاد الشخصية ، والأحقاد الاقتصادية ، فيعلن أن كل دم فى الجاهلية قد وضع ، وأن كل ربا فى الجاهلية يجب أن يعود فائضه إلى أصحابه . وأن أول من يطبق عليه القانون ، هو عمه العباس الثرى الكبير ؟ ؟

ثم يضع الرسول فى يوم عرفات النظام المحكم للأسرة الإسلامية ويحدد فى عدالة

العلاقة بين الرجل والمرأة ، ويرسم العلاقة العامة بين الناس كافة على أساس التراحم والتكافل والتعاون .

ثم تمضى خطبة حجة الوداع منطلقة هادفة تنظم المجتمع وترسم إطاره وتحدد انطلاقاته ، وتتحدث فى اقتصادياته وسياساته ، وكل ما يحيط به أو يدنو منه .

ذلك بيان الرسول العظيم فى اليوم العظيم ، وهذا هو منهجه وهديه الذى يجب أن نترسم خطواته ، وننسج على منواله ، متطورين مع أحداثنا ومشاكلنا ، متناسقين مع تقدم الإنسانية ، وخطو الحياة ، واتساع آفاقها ، ووحدة ميادينها .

وبذلك نحقق رسالة الحج ، كما فرضها الله سبحانه ، وكما حددها وطبقها رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، فيها هدى ورحمة ، وفيها تعارف وتعاون ومحبة ، وفيها ترسم الخطوط العريضة لحياة الأمة الإسلامية وتطورها .

الخطوط العريضة التى أجملها القرآن ، فى أروع صورة ، وأبلغ كلمة ، ليشهدوا منافع لهم :

وأما الصورة المثالية للحج الروحى ، كما صوره الصوفية ، فموعدنا به إن شاء الله العدد القادم . . والله ولى التوفيق .

تجربة ناصر لتحطيم الربا

وتحقيق العدالة الاجتماعية

بقلم الأستاذ

طه عبد الباقى سرور

بالكلمة لا بالمدفع ؟

بالإيمان لا بالدم ؟

بالإرادة المصممة ؟

وبالعزم الحى الحاسم ؟

وفى مسمع الدنيا وعلى عينها ، يرفع جمال عبدالناصر اليوم ، رايات بعث وبناء ، لأروع تجربة خلاقة فى تاريخ بنى الإنسان .

تجربة ناصرية ، لا شرقية ، ولا غربية ، تجربة لم تنبتها حقول الأحقاد ، ولم تسقها مياه الإلحاد ، ولم يثيرها رأس المال ، ولم يبعثها رغبة فى طغيان أو إستعمار .

وإنما تجربة نبعت من إيمان بطل ، ومن آمال شعب ، نبتت من التجاوب الحى ، بين أحلام الملايين ، وبين قلب زعيم ، غدا قلبه كالمرصد الحساس ، الذى يسجل كل اهتزاز ينبعث من وجدان أمته ، وينبض بكل حلم يراود شعبه .

من هذا التجاوب الحى ، كان هذا البعث الاشتراكى التعاونى الثورى الذى يكادسنا برقه يخطف الأبصار .

إنه بعث يحمل فكرة ورسالة ، وهذه الفكرة وهذه الرسالة ، قد تصنع الحياة عندنا ، وقد يمتد شعاعها إلى ما يحيط بنا ، وقد يتطاير هذا الشعاع إلى كل أفق إنسانى ، وإلى كل ميدان عالمى ، فتصبح الفكرة والرسالة ، حركة من حركات التاريخ ، وانطلاقه من الانطلاقات التى تبدع تطور الإنسانية .

وأروع مافى هذا البعث ، أنه لم يتنكر لمواريث الإيمان ، ولم يتطاول على

مقدساته ، ولم يرتكز على إثارة الأحقاد العنصرية أو الطبقية ، ولم يبن على الغطرسة الدكتاتورية المتجبرة .

وإنما ارتكزت قواعده على الإيمان والإخلاص ، واستمد حركته من الحب والإخاء ، وبنى فلسفته وانطلاقه ، على التعاون فى كل حقل وميدان ، وعلى التناسق بين الطبقات . وعلى التكافل والتكافؤ فى الحقوق والواجبات .

عدالة إجتماعية إنسانية رحيمة ، إمتد عدلها إلى كل قطاع ، ومشى نورها وخيرها إلى كل قلب ، وخاطب منطقها كل وجدان وضمير .

إن هذا البعث أو هذه التجربة الناصرية المنطلقة فى زحفها المقدس هى عندى ، أضوأ وأخلد سطر فى كتاب البطولة الناصرية .

لقد طرد جمال عبد الناصر ، ملكا طاغيا ، وحطم إقطاعا باغيا ، وقذف بأعتى وأخبث استعمار عالمى إلى البحر ، وخاض معركة السويس ضد عدوان ثلاثى قوى ، فدمر العدوان وحطم أسطورة الاستعمار ، وأطلق شعاع الأمل ، وسناء الحرية ، فى القارتين العظيمتين آسيا وأفريقيا .

وكون من شعوب الرسالات والنبوات وحدة عربية ، ذات مقام دولى ودعم سياسة الحياد الإيجابى ، وأقامها وأطلقها ، قوة توازن وتحافظ على السلام العالمى .

فعل جمال كل هذه الشوامخ ، وفى بعض ما فعل ما يخلد أبطالا ، وفى بعض ما فعل ما يكتب تاريخا مضيئا .

ولكن جمال بتجربته الاجتماعية الكبرى فى عيد الثورة التاسع كتب صحيفة متلألئة خالدة ، تفوق بها على نفسه ، وعلى أمجاده .

لم يحرر جمال بهذه التجربة أرضا ، ولم يحرر مالا فحسب ، بل حرر شعبا ، حرره فرداً فرداً ، حرره ضميراً ووجداناً ، حرره خلقاً وعملا ووجوداً .

حرره أمة من مواريث مئات السنين ، تلك المواريث الكالحة الذليلة ، الخانعة المتواكلة ، بكل ما يثقل كاهلها وضميرها من تمايز طبقى ، وذل اجتماعى .

ووضع فى كل قلب أملا ، وفى كل عقل مصباحا ، وفى كل يد عملا ، وفى كل بيت سعادة .

وفتح أبواب سحرية لغد مشرق حر ، متحرر من كل خوف أو جبن أو طغيان إنها تجربة قد وضعتنا أفراداً وجماعات على المسرح العالمى ، ترقبنا عيونه ،

تجربة يجب أن نرتفع إلى مستواها ، وأن نحمل رسالتها ، بكل عزماتنا وبكل آمالنا .

والتجربة الناصرية فى أثرها وأهدافها : أكبر من أن يحيط بها مقال ، وأعظم وأشمل من أن يعرضها بحث واحد .

إنها تجربة رحبة الآفاق والميادين ، يجب أن نتذوقها ونحسها ونعيشها ، وأن نندفع فى انطلاقاتها ، وأن يمشى بعثها إلى واقع حياتنا فيغيره ويلونه ويطوره .

وأن تمشى الأقلام والألسن وكل أدوات التعبير الفنية إلى مدلولها ومنطقها ، تسانده وتؤيده ، وتفتق جوانبه ، وتعرض صوره ،

وإن من الصور الرائعة فى هذا البعث الشامل ، بل هى عندى أخطر تجربة فى النظام الناصرى الجديد ، لتلك اللفتة الإيمانية الإنسانية النبيلة .

لفتة ناصر أو تجربته للقضاء على الربا ، حيث حرر الفلاح العربى وأعفاه من فوائد الربا فى تعامله مع بنك التسليف الزراعى التعاونى .

لقد أدار رجال الإصلاح والفكر الإسلامى الحديث طويلا ، دون أن يجدوا السبيل لتطهير وجه الحياة الإسلامية من هذا الدنس المحطم للإخوة الإنسانية ، المدمر للقيم الخلقية ، المشكل للرأسمالية الطبقية .

وبضربة واحدة من يد البطل المؤمن ، تحرر القطاع الريفى بأسره وهو أكبر قطاعات مجتمعنا العربى ، تحرر من هذا الأثم الفاجر وتطهر .

إنها تجربة لها ما بعدها ، تجربة علينا أن نرقبها ، وأن نساندها لأنها تفتح طريقاً عريضاً لما بعدها .

إن إيجابية جمال عبد الناصر وعزماته الصانعة ، وإرادته البانية ، ومثله الإيمانية المثالثة ، لتملأ قلوبنا أملا فى أن نرى النظم الإسلامية تسود بروحها الاشتراكية الإنسانية الشامخة ، لتسهم بإمكانياتها الشامخة فى تطورنا وبعثنا .

إن سلبية المتحدثين عن الفكر الإسلامى لم تصنع فى أجيال شيئا ، ثم صنع جمال فى لحظة ، تجربة حاسمة ، تتسق وتتفق مع مواريثنا الإيمانية ، وعقائدنا الربانية .

إننا فى بداية الطريق ، والتجربة الناصرية ، تفتح مجالا فى كل أفق ، وتصنع آمالا فى كل ميدان ، وتملأ قلوب المؤمنين باليقين بأننا نشهد الفجر الصادق ، الذى طالما ترقبناه وآمنا به ، لنعيش فيه مع كلمات الله ، التى تصنع الحياة .

العدالة الاجتماعية فى الاسلام

حطمت الفوارق الطبقية

للاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، هى أن يعيش كل واحد فى الجماعة العيشة الكريمة غير محروم ولا ممنوع ، وأن يمكن من استغلال مواهبه بما يفيد شخصه وبما يفيد الجماعة ، ويكثر إنتاجها .

وليست العدالة الاجتماعية موجبة إلغاء الفقر فى هذا الوجود ، بل هى توجب تخفيف ويلاته النفسية والمادية ، فلا يحقد على الغنى فيكون الخراب ، ولا يحرم من القوت والكساء والإيواء ، فتضيع قوى عاملة كان يمكن أن تعمل ، وتدر على الجماعة بعملها خيراً ، وتدفع عنها وعن نفسها ضراً .

وذلك لأن الفقر فى ذاته لا يقبل المحو من الوجود ، ولا يزال الناس مختلفين فقراً وغنى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولا يمكن أن يزول الفقر من الوجود إلا إذا اتحدت القوى ، واتحدت أسباب الرزق ، واتحدت الأجواء المادية والفكرية ، التى تظل المنتجين ، وإن الناس فى ذلك متفاوتون فى قواهم تفاوتا كبيراً ، ولذلك ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الناس كأبل ، مائة لا تجد فيها راحلة » فالممتازون امتيازاً مطلقا فى تفكيرهم وهواهم بشكل عام نادرون ، وهم أعلى القمة ، ومن دونها أوسع منها قليلا ، ثم يتسع المقدار كلما قاربنا السفح ، وسطح الأرض ، وبذلك يتبين أن القوى الإنسانية كشكل هرمى متدرج فى الارتفاع والاتساع ، أضيقه مساحة أعلاه ، وأوسعه أدناه .

وإنه لو اتحدت القوى الإنتاجية عند كل إنسان فى الجماعة ، فإنه لا يمكن أن تتحد أسباب الثروة . فقد يوجد عند شخص من الأسباب مالا يوجد عند غيره ، كأن يكون لهذا من المعينين ما ليس لذلك .

وعلى فرض اتحاد القوى واتحاد الأسباب ؛ فإن الإنتاج ليس مؤكداً إذا اتحدت

كل أسبابه وتوافرت القوى العاملة المنتجة ، فقد يحدث أن توجد كارثة لهذا فلا ينجو ماله ، ويسلم لهذا انتاجه ، ومثل رجال الأعمال فى النتائج لأعمالهم . كمثل الزراع ، يتحدون فى الزرع والسماد وحياطة الزرع من كل آفة ، ولكن يحدث ما ليس فى الحسبان بالنسبة لأحدهم ، فيحدث لمن هو قريب من النهر الجارى فيضان على أرضه ينجو منه البعيد ، أو يتمكن من النجاة بزرعه ، قبل أن يطغى عليه ، فكون من نجا زرعه له فضل من المال ، ومن غرق زرعه يصيبه القل .

اعتبر الإسلام لهذا أن الفقر والغنى حقيقتان ثابتتان ، وقرر أنهما من طبيعة ذلك الوجود الإنسانى ، ولقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة الثابتة ، فقد قال تعالى : « قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » ، ولكن الاسلام مع ذلك لم يجعل الطبقات بسبب الغنى ، فليس فى الاسلام نظام الطبقات ، كما رأينا من تطبيق الأحكام الاسلامية فى العدالة القانونية ، وقد عمل على ألا يستعلى غنى على فقير اغناه ، فقد قرر أن الفضل عند الله بالتقوى ، وأن الرفعة بالعمل الصالح ، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ولقد كانت أعمال النبى صلى الله عليه وسلم تتجه إلى ألا يكون الناس طبقات لكل طبقة معاملة ونظام ، فلقد كان يمنع التعالى بالنسب ، وقد كان ذلك هو الذى يتخذ فى العرب للتسامى ، ويروى أن بعض الصحابة عير آخر بأمه ، فقال له النبى عليه الصلاة والسلام أعيرته بامه ؟ إنك إمرء فيك جاهلية ، ويروى أنه قال له : « أجاهل أنت » ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من دعا إلى عصبية » ، وكل ذلك لتكون الجماعة الاسلامية كلها مندمجة فى غيرها من بنى الانسان .

ولقد كان الحكام فى سبيل محو الطبقات يؤثرون الضعفاء الفضلاء بتقريبهم إليهم ولذلك روى أنه استأذن على عمر بن الخطاب بلال الحبشى وأبو سفيان مع نفر من كبار قريش ، فدخل إلى عمر الواقف على بابه يقول بالباب أبو سفيان وبلال ، فغضب الإمام التقى ، لأنه قدم أبا سفيان على بلال فى الذكر ، وقال له : قل بالباب بلال وأبو سفيان وأذن لبلال ولم يأذن لأبى سفيان .

وفى سبيل منع الطبقات منع كبار قريش من أن يذهبوا إلى الأقاليم لكيلا يكونوا فيها طبقة أشراف يحكمون فى الناس باسم السلطان .

وقد عمل الاسلام على محو نظام الطبقات من النفوس بالعبادات الاسلامية ،

فى الصلاة يقف الفقير بجوار الغنى يجمعها الخضوع للديان ، ويقولان معا « الله أكبر » ليشعروا جميعا بالتضامن وقوة الله وجبروته ، وفى الحج تمحى كل الفروق الاجتماعية بين الأجناس والألوان ، والفقراء والأغنياء . إذ الجميع يكونون فى ضيافة الله تعالى فى بيته الحرام بملابس واحدة من القطن ، وهكذا كل العبادات الاسلامية تتجه نحو تربية القلوب على المساواة ، بلا تميز بين فقير وغنى ، أو نسيب وغير نسيب . بل الجميع أمام الخلاق العليم على سواء ، كما بدأهم سبحانه وتعالى .

اعترف الاسلام بالحقيقة الواقعة ، وهى أن الناس منهم الثرى ومنهم الفقير ، وقد عالج الفقر ، ومنعه من أن يذل صاحبه . فتكون الطبقات التى تقطع الجماعة ، وتلقى بالحقد فى نفس الفقير . ووراء الحقد التمرد على النظام بالسرقات والاختلاس والاعتصاب وقطع الطرق ، وقد يمتد الأمر إلى قلب النظام الاجتماعى كله رأسا على عقب .

وطرق علاج الفقر كانت على نواح كثيرة منها :

(ا) تمكين كل قوى من أن يعمل بإعداد أسباب العمل ، فإن لم يكن قادراً على عمل ذى خطر فى نظر الناس أو لم يمكن منه ، كان عليه أن يعمل بيده : وقد شجع النبى صلى الله عليه وسلم العمل اليدوى ، ولذلك قال عليه السلام : « ما أكل ابن آدم طعاما خيراً من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » وذكر نبى الله داود بالذات ، لأنه قائداً عظيما ، ولأنه كان ملكا ذا سلطان ، وتحت يده خزائن الدولة ، لو أخذ معها ما يكفيه وأهله بالمعروف ماكانت عليه غضاضة فيما يأخذ ، ولكنه آثر أن يأكل من عمل يده ، لينال ذلك الكسب الطيب الذى هو خير كسب .

ولقد جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب منه صدقة من بيت المال ، فوجده النبى صلى الله عليه وسلم قويا قادراً فلم يعطه مالا ينفق منه ، ولكن اشترى له فأسا ، وأعطاه إياها ليحتطب بها ويأكل من عمل يده ، وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم الأقوياء على العمل ، وروى عنه أنه قال : « لان يحتطب أحدكم بفأسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

ولقد حث النبى صلى الله عليه وسلم على العمل اليدوى وكرمه لكيلا تكون غضاضة ، وليكثر العمال الذين يحملون ، والصناع الذين يصنعون بأيديهم ، ويرافبون

أدوات الصناعة الكبرى ، وإن العمران يحتاج إليهم ، ولا يستغنى عنهم فلو نفرت الجماعة كلها من الاعمال اليدوية ما قام عمران ولا شيد بنيان ، وما انتظمت صناعات وإن تكريم العمل اليدى كما فى الحديث الأول يمنع الناس من أن يحتقر بعضهم بعضا ، فلا تكون طبقة عاملة تنال الاحتقار ، وأخرى غير عاملة تنال التقدير والاعتبار

ومن علاج الفقر فى الاسلام تهيئة الفرص بأن يمكن كل ذى موهبة من الانتفاع بموهبته على قدر طاقته فلقد قرر فقهاء الاسلام أن كل من يقوم عليه العمران من هندسة وطب وفلح الأرض ، وإقامة المصانع ، والجهاد فى سبيل الله تعالى دفعا للأذى وحماية للحوزة — واجب على الأمة ، وهو واجب على وجه الخصوص على من كان قادراً بالفعل على واحد من هذه الأمور وواجب على العموم على الأمة متمثلة إرادتها فى ولى أمرها ، والقائمين على شئونها ، وجوبها على العموم من قبيل الكشف عن ذوى المواهب من بين شبابها وتوسيد كل أمر لمن هو أهل له ، والكشف عن أصحاب المواهب بتهيئة الفرص لكل ذى موهبة من أن تظهر موهبته ، ولقد قرر بعض فقهاء المسلمين أن السبيل لتهيئة الفرص للجميع هو أن يكون التعليم درجات ، فالتعليم فى المرحلة الأولى يكون للأمة كلها ، ومن كانت عنده الكفاية الحقيقية لأن إلى المرحلة الثانية انتقل إليها ، ومن وقفت به مواهبه عند المرحلة الأولى ، وقف عند أمر يحتاج إليه العمران ، فمن هؤلاء يكون العاملون بأيديهم فى الأرض وفى المتاجر ، وفى الصناعات اليدوية ، وفى إدارة المصانع بأيديهم ، وغير ذلك مما لا يحتاج إلى مدارك فنية عالية :

وإذا قطعت المرحلة الثانية ، فمنهم من تكون عنده الكفاية لأن يتجه إلى المرحلة الأخيرة حيث يكون التفنن فى علم من العلوم ، أو التخصص فى قيادة الجيوش ، أو العكوف على إقامة العدل بين الناس ، وغير ذلك مما لا تقوم الجماعة إلا بمتخصصين فيه ومن قصرت همته عن تجاوز المرحلة الثانية فإنه يقف فى موضع تحتاج الأمة فيه إلى من يكون على هذه الشاكلة فالعمران يحتاج إلى من يقيدون الحساب ، ويحصون الأعمال ، ويحتاج إلى صناع فنيين يراقبون المصانع ، ونحو ذلك مما لا يكفى فيه التعليم فى المرحلة الأولى .

وأنه إذا اتبع ذلك النظام تهيأت الفرص لكل إنسان وكشفت المواهب ، ولم يوسد أمر لغير أهله ، ولا يطلب الجليل من الأعمال من ليست عنده الكفاية له :

ومن علاج الفقر تسهيل أسباب الحياة للعاجزين عن الكسب ، فإنه إذا كان قد مكن العامل من أن يعمل ، وكل ذى موهبة من أن تنكشف موهبته ، فإن هناك شيوخا أقعدهم ثقل السنون من أن يعملوا ، ونساء أضعفتهن أنوثتهن عن أن يخرجن إلى الحياة عاملات كادحات ، ويتامى فقدوا العائل ، فكان حقا على الاسلام أن يرتب لهؤلاء أسباب الحياة ، وقد فعل ولم يقصر فقد قال محمد بن عبدالله ورسول الله : ومن ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلا فإلى وعلى ، أى من يموت عن مال فإنه يوزع على ورثته ، ومن ترك أشخاصا كان يعولهم . ولا مال ينفقون منه فإن محمد الكريم قال : إنه يئول إليه ، ونفقته عليه ، وإنما كان اليتيم يئول إليه ، لأن اليتامى قواة لمستقبل ؛ إذا قامت الدولة بحق رعايتهم ، وأعطتهم العناية التى تجعل من كل يتيم رجلا عاملا . وهو على النبى ﷺ لأن نفقته تكون بتدابير من أحكام الإسلام وقد دبر الإسلام سد حاجة المحتاجين من أبواب ثلاثة تتلاقى فلاتجعل لفقير عاجز حاجة لم تسد :

(١) وأولى هذه الينابيع بيت المال ، فإن موارد بيت المال للفقير حق فيها يجب أن يعطى منها بانتظام .

(٢) الزكاة فانها يبتدأ من الصرف منها الفقراء والمساكين وأبناء السبيل الذين انقطعوا عن أموالهم ، وكانوا فى أماكن لا مورد لهم فيها ، فيحق على بيت المال أن يعطيهم من مال الزكاة .

(٣) فى نظام نفقات الأقارب ، فإن الإسلام أوجب على القريب الغنى نفقة قريبه العاجز .

ملهمات اليوم الخالد

للدكتور محمد خلف الله أحمد

عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية

من حق مؤسس الحضارة الإسلامية علينا — وقد أظلنا عيد مولده — أن نحييه تحية الوفاء والعرفان بالجميل ، وأن نتخذ من ذكريات عيده موسما لصفو العزائم ، ورياضة النفوس ، والرجوع إلى حظيرة الخير ، والبعد عن أسباب الفتن ، والتعلق بأهداف الخير ، والتمكين لمبادىء المحبة والسلام ، فتلك كلها مثل أحبها النبي العربى محمد بن عبد الله ، وحققها فى حياته ، وسلوكه ووجه إليها فى مأثور سنته ، وتلقى فيها عن ربه كتابا سيظل على الدهر نبراسا يضىء للسارى معالم الطريق .

ولسنا نعلم — فيما درسنا من تاريخ عباقرة الإنسانية — مؤسس دعوة جمع نظامه بين خيرى الدنيا والآخرة ، ووفق بين مطالب الروح والمادة ، وسوى فى الكرامة بين الأبيض والأسود ، وحقق التعاطف والتعاون بين الغنى والفقير ، وبنى العقيدة على أساس الحرية والاختيار ، وحض على عمارة الكون واستثمار خيراته ، وهيأ للنفس الإنسانية مجال الرقى الروحى والخلقى ، كالنظام العالمى الذى أسسه محمد ، فاستظل بلوائه الملايين من مختلف الاجناس والألوان .

هذه معان تتزاحم على خواطرنا ، حين نذكر شخصية محمد وحياته — نبيا ورسولا ، ومصلحا ومحررا ، وقائدا ومشرعا وهى معان ملهمة : توحى إليك بالشعر الرفيع إن كنت شاعرا ، وبالبحث والتحقيق إن كنت كاتبا أو مؤرخا ، وبالدرس والتحليل إن كنت نفسانيا أو اجتماعيا أو أخلاقيا ، وبالأسوة العملية النافعة إن كنت زعيم أمة ، أو قائد ثورة ، أو بانى دعوة من دعوات الاصلاح الإنسانى . وهذه المعانى ممثلة فى الأدب الإسلامى القديم والحديث ، وفى الكتابات الغربية التى تناولت الإسلام وتراثه . فلو أن باحثا أدعى أن شخصية محمد النبى العربى أوسع شخصيات التاريخ الحضارى فى جوانبها ، وأحقها بالعناية والدرس ، ما كان فى ذلك مخالفا الواقع ، ولا متجاوزا حد الإنصاف .

والحقيقة أن هذه الظاهرة لها أسبابها ومبرراتها من التاريخ : فقد جاء محمد برسالته

السماوية ، مصدقا لما بين يديه من الرسالات ، حاضا على الإيمان بأنبيائها ورسلها ، مقررا أنها كلها تنبع من معين واحد ، وتهدف إلى غرض واحد ، داعيا أتباعها إلى كلمة سواء بينه وبينهم أن تكون العبادة لله وحده ، وألا يتخذ الخلق من دونه شريكا له . وهكذا جاءت رسالة محمد خاتما للرسالات ، وبرهانا على صدقها جميعا ودعوة إلى وحدة الدين — وهى وحدة تقوم على الإيمان بالله واحد . وعلى شعور الخلق جميعا بأنهم مرتبطون برابطة واحده مقدسة .

هذا الفهم لحقيقة الدين ظاهرة مهمة فى تاريخ الإسلام ، وفى عظمة مؤسسه ، وهى ظاهرة لها أثرها فى التفكير الدينى عند المسلمين ، وفى احترامهم وحبهم لأنبياء الله ورسله كافة ، وفى موقفهم من حرية العقيدة وعدم الاكراه فى الدين . ولقد يحدث أن يشذ شاذ فيتجنى على محمد ورسالته . أو يحاول أن يشكك فى أصل من أصول تلك الرسالة أو فى حكمة مبدأ من مبادئها ، ولكن المسلم الحق لا يستبيح لنفسه أن يقابل التجنى بمثله أو أن يسىء الأدب فى حق واحد ممن اصطفاهم رب السماء لرسالاته فإن دينه يطالبه أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله جميعا . ومن هنا يجد المسلمون أنفسهم دائما فى موقف واضح حين يدعو الدعاة فى العصر الحديث إلى التآلف بين أهل الأديان السماوية ، وإلى وقوفهم معا فى وجه المادية والالحاد المعطلين لمثل الإنسانيه وقيمها الروحية .

وشىء آخر يجب أن يذكر فى معرض الحديث عن محمد الرسول : ذلك هو العنصر التاريخى ، فقد جاء النبيون بالآيات فانصرمت — كما يقول شوقى ، وجاء محمد بآية مستمرة على الدهر ، محفوظة من التحريف والتبديل ، باقية الأثر فى حياة ملايين الناس وأخلاقهم ومعاملاتهم ، وثقافتهم وتفكيرهم .

هذا — إذن — هو جانب الرسالة السماوية من حياة محمد وعظمته .

وهناك جانب آخر ، وهو جانب محمد الإنسان العربى ، المعروف النشأة ، والتاريخ والسيرة ، والصفات والملامح ، محمد الذى تعبد كما يتعبد كل بشر من ذوى النفوس الصافية المتأملة ، والذى أعد نفسه بالعبادة والتفكير لتلقى رسالة ربه ، والذى جاهد كما يجاهد كل بشر فى سبيل عقيدته ، والذى أوذى فصبر ، لم تضعف له عزيمة ، ولم يثنيه وعد أو وعيد ، ولم يقابل أساءة قومه إلا بطلب الغفران لهم . حتى إذا أذن الله أن يعطى الدين سياجه البشرى من القوه والكفاح ، سل محمد سيفه ، وناضل فى مقدمة الصفوف ، وثبت فى مواقف الحق ومضى إلى غايته ، يبنى أمته ، ويضع لها

قواعد حياتها ، ونظام أخلاقها ومعاملاتها . حتى إذا أتم وضع الاساس ، واختاره الله لجواره ، ترك الأمة العربية موحدة الهدف ، متينة القواعد مشدودة السواعد ، متأهبة لحمل ألوية الدين الحنيف إلى أقصى أرجاء المعمورة .

كانت حياة محمد — إذن — مرحلة لها جلالها فى تاريخ البشرية كلها : فقد تكشفت عن دين واضح الأصول ، وشريعة متماسكة البناء ، وأمة مستعدة لحمل مشعل الحضارة وفلسفة فى الحياة كلما أرنقت الإنسانية وجدت فيها جمالا وإلهاما وهداية .

والجانب الثالث الذى يؤلف فصلا كبيرا فى كتاب عظمة « محمد » ما فجرته حياته وسيرته وتعاليمه وكتابه وحديثه من ينابيع المعرفة والثقافة : فأما حياته فقد بعثت طائفة من أولى العلم على أن يعنو بتتبع سيرته ، ويحققوا أحداثها ، وينظروا بالعين الفاحصة فيما نسج حولها من قصص ، وينبهوا إلى ما فيه من تزيد ، وبذلك مهدوا السبيل لنشأة علم التاريخ عند المسلمين ، وبدأوا تلك السلسلة من الجهود التى ظهرت ثمرتها عند ابن هشام والطبرى ، وابن الاثير وابن خلدون والمقريزى وغيرهم .

وأما كتابه فقد أيقظ عقول العرب وغيرهم من الأجناس التى اعتنقت الإسلام — أو دانت لسلطانه ، وبعث فيهم نهضة فكرية خصبة الجوانب ، وتنبه العرب إلى العناية بلغتهم فضبطوا مقاييسها ، وحددوا نظمها ، وإلى العناية بأدبهم ، فجمعوا متفرقة ، واستنفذوا ثروته من يد الضياع والنسيان ، وإلى النظر فى ذوقهم فبحثوا ظواهره الجمالية والبلاغيه ، وبذلك جمعوا حول القرآن دوائر من المعارف فى التفسير واللغة والأدب والنقد والبلاغة وأسرار التشريع .

وأما حديثه فقد علم هذه الأمة معنى التحقيق والتدقيق ، فكان العالم من علمائها يرحل الأشهر الطوال ، فى طلب نصوص الحديث يتعرف سيرة رواتها ، ويقابل بين ما أثر من صيغها ، وقد نقلوا هذا الميدان الذى أفادوه فى دراسة الحديث إلى ميدان آخر من ميادين المعرفة هو الأدب واللغة ، فنشأ فيه علم كبير هو علم الرواية ، وتخصص فيه علماء مشهورون كما تخصص البخارى ومسلم وغيرهما فى رواية الحديث .

وثمت جانب رابع من حياة محمد وهو أدبه مع أهله وسيرته فى صحابته ، وتعهده لاتباعه ، وطريقته فى تربية النفوس ومعالجة أدوائها ، وحبه لربه ، وخشيته منه ، وموقفه من الحياة ، وما تجلبه المقادير من ثكل ولد أو فقد عزيز ، وما إلى ذلك مما سجلته كتب السيرة فى استقصاء وتفصيل .

هذه الجوانب من حياة النبى العربى مصورة فى الأدب الإسلامى تصويرا يختلف حسب اختلاف الأحوال الاجتماعية والسياسية والثقافية التى مرت . ويبدو هذا الاختلاف فى شكل طريف إذا وضعنا — مثلا — بردة البوصيرى وما نسج على نهجها ، إلى جانب مطولات الرسائل والقصائد التى كان الأندلسيون يدبجونها فى ذكر الرسول ومناقبه ، ويلقونها فى المناسبات العامة التى كانت تقام لأحياء المولد أو يرفعونها إلى مقام الرسول ، يصفون فيها أحوال زمانهم ، أو يشكون عدوان الأعداء على بلاد الإسلام ، أو يحنون إلى منازل الوحى ومعاهد الرحمات فى مكة والمدينة . ويتضح الفرق أكثر إذا وضعنا كل أولئك إلى جوار قصائد شوقى فى نهج البردة ، وذكرى المولد وغيرهما ، وإلى جوار المؤلفات التى أخرجها كتابنا المحدثون عن سيرة الرسول وعبقريته . ولكن الشىء الذى لا شك فيه أنك واجد فى كل هذه الثروة من الادب — رغم اختلاف التصوير ومنزعه — طابعا عاما مشتركا يقوم على الحب الخالص للرسول والاجلال لشخصه والإيمان بصدق رسالته وجمال شريعته .

فالنغمة التى تسمعها من ناظم الموشحة الأندلسية فى القرن السابع الهجرى إذ يقول مناجيا الرسول مصورا مكانته فى نظام الوجود:

يا مصطفى والخلق رهن العدم والكون لم يفتق كمام الوجود
مزية أعطيتها فى القدم بها على كل نبى تسود
ناديت — لو يسمح لى بالجواب شهر ربيع — يا ربيع القلوب
مولدك المرقوم لما نجم أنجز للأمة وعد السعود
أطلعت للهدى بغير احتجاب شمساً ولكن ما لها من غروب !

هذه النغمة تسمع شبيهتها من شاعر العروبة والإسلام فى العصر الحديث إذ يهتف — ولكن على لحن آخر — مبرزا أسرار الشريعة السمحة التى جاء بها محمد :

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد وهو حقيقة نادى بها سقراط والقدماء
فرسمت بعدك للعباد حكومة لا سوقة فيها ولا أمراء
الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل فى حق الحياة سواء

الشيخ العدوى صادق

للدكتور مصطفى كمال وصفى

من أهالى بنى عدى بصعيد مصر من نسل الإمام عمر رضى الله عنه . ومن علماء الأزهر . دمرداشى الطريقة . عمل مدة كبيرة شيخا لمسجد جده الإمام أبى البركات أحمد الدردير المالكى . مات فى يوم الأحد ٢٦ من ذى العقدة عام ١٣٧٦ الموافق ٢٣ من يونيو ١٩٥٧ وهو فوق الخمسين ودفن بقرافة المجاورين . وترك ولديه اسماعيل الذى خلفه فى إمامه مسجد الدردير . ومحمد الذى يعمل فى المطبعة الأميرية .

زاهد تقى ورع عالم عامل كامل ثقة شيخ مربى سالك . وكان أظهر ما فيه تواضعه وصدق فراسته وحضور بديهته وخفة روحه . وكان نحيلا هضيم الوجه خفيف الحركة قصير القامة . اسمر اللون .

صحبته فى السنتين الأخيرتين من حياته فأفدت منه فائدة قصوى . وانطبعت روحى بأنواره ، تعلمت منه ذوق الصوفية ومواجيدهم .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته بلا حساب .

رأيته بعينه وشكله فى الرؤيا مثل أن أراه . إذ رأيت جمعاً كأنهم فى مدرسة يقرأ فيهم رجل بصوت طروب مسرور ، وهم مقبلون حوله يستزيدونه فقلت له « إذا كنت الشيخ صادق العدوى فإنى لا أبحث إلا عنك » قال لى بل أنا سكرتيره ولكن انتظر حتى يفرغ الشيخ من اجتماع عنده فتقابله . فلما أخبرنى بالمقابلة وجدت الشيخ صادق فى الرؤيا طيفا كبيراً هائلا بين السماء والأرض عليه جلالة وهيبة وقال لى سكرتيره تراه فتحسبه أمامك وهو فى الحقيقة فى مكة أو فوق الهرم الأكبر . فلما قابلت الشيخ صادق العدوى بعد ذلك وجدته هذا السكرتير الذى رأيته فى المنام .

ولقد وعيت من نصحه وإرشاده الشىء الكثير . كما رأيت من بركته ما صرت أعجب له الآن .

أذكر من ذلك أن قريبا لى ضاقت به الحال بعد أن حصل على مؤهل كبير (دكتوراه) ولم يوفق إلى تعيين مناسب . فجاءنى ليلا فى وقت متأخر وقال لى لقد

ضاقت الدنيا فى وجهى فاصحبنى إلى الشيخ صادق لعلى أسمع منه مايفرج كربتى : فذهبنا للشيخ وقصصنا عليه حال قريبى هذا . فقال له « أتريد مالا ومركزاً . . أذن سنبعثك إلى الحجاز عامين . ثم تعين مدرساً فى الجامعة » وظننا فى بادىء الأمر أنه يعرف من يرسله إلى السعودية . ولكنه بطبيعة الحال لم يكن ذاك ما يقصد . فقد مات الشيخ بعد ذلك بقليل . أما صديق فبالضبط وفقة الله — بتدبير غريب — إلى ماقاله الشيخ .

ولم يكن يتنبأ لأحد بشىء إلا حدث له . تنبأ لى بأنى سأكون مستشاراً وكان وقتها بينى وبين ذلك أمداً بعيداً . ولكن حكمته لم تخب فى الوقت الذى حدده . وقال لسيدة أعرفها ستكونين « أستاذة » وكانت وقتها زوجة مستقرة فى بيت زوجها من زمن بعيد ، فإذا بزوجها ينقلب عليها فجأة ويطلقها . وإذا بها تبدأ حياة دراسية من جديد فتحصل على التوجيهية بعدسته عشر عام من تركها الدراسة وتدخل كلية الآداب. لم يقل لى عن شخص خيراً إلا وتحق ظنه ولم يحذرنى من شخص إلا وصدق . أذكر أن إحدى الفتيات خطبت ، وأرادت أن تستأنس برأى الشيخ . ولم يكن بطبيعة الحال قد رأى الخطيب أو له به سابق معرفة فقال لها « ده هليهلى . . . يدخل الحارة يقول كل الحارة معزومة الجدى اللى عندى . . . ولا عنده جدى ولا حاجة ! » ولم يمض أسبوع حتى تكشف الرجل عن هذا الخلق تماما .

دخلت معه مرة إلى مقام سيدى الدردير . فصاح لدى الباب « ياسيدى الدردير . مصطفى أهو » وفى الليل رأيت رؤيا أننا بهذه الصورة وأن سيدى الدردير يقابلنا بالتحية . وبعد مدة قابلت رجلا يشبه الصورة التى رأيتها للدردير فى المنام إلا أن بها فروقا معينة . فقلت له « كان هذا الرجل يشبه سيدى الدردير » فقال لى غير أن به فروقا هى كذا وكذا . . مما يطابق ما رأيت .

كان داره يمتلىء ليل نهار بالوافدين . وكان يقول « هذه هى مهنتى يلجأ الناس إلى فى كل وقت لعرض مشاكلهم . ربما أكون فى جوف الليل فأوقظ لأصلح زوجا على زوجها . ربما يأخذوننى من على غذائى لأمر طارىء . . هكذا أنا مكلف وهذه هى وظيفتى » وكان طرف ثالث فى كل مشكلة تعن لأى محب له . يتحمس له ، وهذا يأتيه يعرض عليه أمره . هذا يريد أن يتزوج . . أى الأوقات أنسب للعقد . هذا يريد أن يتوظف هل يقبل هذه الوظيفة . . وهكذا . وكان الناس يحصلون منه بأية وسيلة على أى شىء . ربما مصحف « شوية ملح » زجاجة عطر بلدى . كتاب عليه توقيعه .

دعاء مأثور . وكان هو كالبحر المديد فى عطائه ، رأيته يهب فقيراً عباءة جديدة لا يقل ثمنها عن خمسة عشر جنيها يهب آخر « كاكولتين » وجلاليب . . وكل ما تصل إليه يده ينفقه على الناس ، وكان آخر ما أنفقه فى حياته قبل موته بساعات . إذ أتى إليه فقير يشكو ، فأعطاه عشرون قرشا هى كل ما معه . وذهب إلى الله بلا شىء معه .

قرأت عليه كتاب الإمام الرفاعى قبل أن يموت . وقرظه فكان ذلك آخر ما كتب فى حياته وبعدها ثقل عليه المرض .

وقد قال لى الطبيب أنه مرض بالتيفوئية . وقال لى الشيخ « الناس مش بتسبنى أرتاح » . فقلت له ياسيدنا أقول لهم ينصرفوا . وتعمل تعليمات . فقال لى سيبهم . هذه هى مهنتى فى الحياة ووظيفتى أن أكون تحت أمرهم .

لله عباد فى الأرض . فإذا كان الشيخ صادق يجنى من وراء ذلك إلا التعب المتصل والنفقة الزائدة البالغة التى لا أدرى كيف كان يواجهها . عشرات من زجاجات الكازوزة ، وأقداح الشاى والقهوة والقرفة والكحك والفول واللب وكل ما يقدم للضيوف دائما مبذولة لضيوفه الذين لا ينقطعون . ويتردد عليه الناس من أرقى الطبقات وأعلى الثقافات ، إلى أفقرهم وضعفهم ذكرا . فكان يعطى كل على مقداره يعظم الكبير ويتفطر قلبه وحنانه للفقير .

وكان يكره الثناء ويغضب منه .

تصادف مرة أن عثر على غلام ضال فتبين أنه ابن أحد أصدقائه فصحبه معه إلى منزله ليوصله لأبيه . فلما جاء الوالد يعرض على الشيخ مشكلته أعطاه ولده . وفى الأيام التالية تكرر مثله هذا بصورة مشابهه عل وجه المصادفة . فشاع بين الناس أن « سر » الشيخ صادق يجيب العيال النايهة ، فغضب رحمه الله من الذين قصدوه ليرشدهم لأولادهم وقال لهم « ياناس أمركم غريب . . مش حاتسيبوا الجهل ده بقا » . واستاء من ذلك أشد الاستياء .

فقدناه على غرة ولم يكن قد جاوز الخمسين بكثير فترك لنا فراغا يتعذر ملؤه . فأين هى الواحة النضرة والظل الظليل الذى كنا نأوى إليه فى صحراء هذه الحياة القاحلة نروى منه الظمأ ونستظل .

هدانا الله إلى مثله ، وعوض الإسلام عنه خيراً . فمثل هؤلاء الدعاة المخلصين الذين يدلون على الله بحسن سجاياهم وتضحياتهم ويشيعون فى الناس روح الخير ، ويعلمونهم حسن الخلق وحسن الدين بما يتصرفون به أمامهم ، ضرورة لابد منها للدلالة على الله والارشاد إليه .

رحمه الله ورحمنا أجمعين

واجب الفرد نحو المجتمع

للأستاذ محمود أبو ريه

حول الندوة الدينيه التى أقيمت بمسجد الرفاعى فى مساء ٢٧ من المحرم سنة ١٣٨١ وموضوعها « واجب الفرد نحو المجتمع » .

كان أول من تكلم فى هذه الندوة الوزير الصالح حسن عباس زكى وزير الاقتصاد التنفيذى الذى دعا إلى هذه الندوة فبين ما يجب أن يكون عليه الفرد من الصفات التى تجعله أهلا لأن يكون عضواً صالحاً فى جسم المجتمع ، ويستطيع أن يؤدى ما عليه من واجب نحوه — وذكر فى أول هذه الصفات أن يكون مؤمنا الإيمان الصحيح ، لا الإيمان الشكلى ، بأن تكون عقيدته فى الله خالصة من شوائب الشرك الجلى والخفى الذى تدسس إلى أمور كثيرة فى أعماله ، ثم أخذ يتكلم عن عبادة الصلاة فقال : إنها ليست مجرد حركات يقوم بها المسلم بغير روح ! وإنما هى التى يكون فيها مع الله وبذلك تنهاه عن الفحشاء والمنكر كما وصفها الله .

وفى الحق أن السيد الوزير وهو يتكلم عن عقيدة التوحيد ، قد وضع يده على جل الداء المتفشى بين المسلمين فجعلهم على كثرتهم التى تبلغ مئات الملايين فى ساقة الأمم حضارة وعلما .

وعلى أن سيادته قد كان موفقا كل التوفيق فى كلامه ، وأنه قد قرطس إلى الغرض الصحيح من إقامه الندوة فإن ما قيل من الكلام بعده ، قد مال بها عن الغرض الذى وجدت له .

فالشيخ أحمد الشرباصى قد تكلم طويلا فى بيان مزايا الإسلام وما يجب أن يكون عليه المسلم نحو المجتمع ! وتكلم كذلك الوزير السيد الشرباصى عن أن الاسلام بما فيه من مبادىء صالحة للمجتمع ليس فى حاجة إلى التعاليم التى تفد عليه من الغرب . .

والكلام فى مثل هذه الندوة عن الاسلام وأغراضه وواجب المسلم نحو المجتمع لا يؤدى إلى نتيجة نافعة وإنما يقال — إذا كان الغرض منها معرفة (واجب المسلم

نحو المجتمع) ومثل هذا الكلام قد قيل كثيرا وشبعت النفوس من سماعة ومن أجل ذلك أصبح وليس له أثر فى الحياة .

إن الغرض الأول من إقامة هذه الندوة هو (واجب الفرد نحو المجتمع) فالكلام النافع فى هذا الموضوع . إنما يكون قبل كل شيء . وبخاصة فى مثل بلادنا . أن نطب لعلة هذا الفرد التى جعلته يتخلف عن أداء ما عليه من واجب نحو المجتمع وذلك بتدبير العلاج الناجح لشفائه واعداده الاعداد الكامل لأن يكون (فرداً صالحاً) لأداء ما يجب عليه نحو نفسه ونحو ربه ونحو المجتمع . ثم بعد ذلك نطالبه بالواجبات التى عليه نحو المجتمع .

هذا ما يجب أن يكون ، ذلك بأننا إذا لم نفعل ذلك يكون مثلنا فى مطالبة الفرد بأداء ما عليه من واجب قبل أن يتهيأ لأدائه مثل من يدفع إلى ساحة الحرب رجلا أعزل من السلاح ويكلفه أن يخوض غمرات الحرب ليصطلى نارها . وهو لا يعرف شيئاً من فنونها .

وما ظنك برجل مكبل بقيود متعددة مختلفة من الشرك والخرافات وذميم العادات فأصبح كالمقعد الذى لايستطيع السير فى حياته بنفسه وإنما يلجأ فى كل أموره إلى غيره فيتوسل بهم فى قضاء حاجاته وبلوغ آرابه .

هل تظن أن مثل هذا يعرف ما عليه من واجب نحو المجتمع ! بله أن يؤديه ! ؟ أنه لا يعرف حتى واجبه نحو نفسه ، فكيف تطلب منه أن يعرف ما يجب عليه نحو غيره ؟ .

إن الخرافات هى سوس الاجتماع لا تزال سوقها رائجة بل هى تزداد على الأيام رواجا بما تجد من أنصار يحمونها ، ويدافعون عنها ، لينالوا مآربهم بسببها فأول شيء يجب أن ترصد له العزائم والهمم هو العمل على استئصال ذرائع الشرك ، واقتلاع جذور الخرافات حتى تخلص النفوس مما يعوقها وتبدو على حقيقتها ، وتتجه إلى العمل النافع فى الحياة بكل قوتها فلا تدع وسيلة من وسائل العلم والتجربة إلا اتخذتها .

ومتى اعتصم الفرد من كل ما يعوقه وأصبحت عقيدته خالصة وعقله محرراً ، وفكره مستقلا بلغ كمال الرجوله — كما قال الأستاذ الإمام محمد عبده وحينما يصل إلى هذه الغاية ويبلغ هذه المكانة فإنه يعرف ولا ريب سبيله المستقيم فى هذه الحياة ،

ويدرك ما له وما عليه فيها فيندفع بوازع من نفسه إلى ما يجب عليه نحو مجتمعه ، ويصبح صالحا لوراثة الأرض التى وعد الله بأن يرثها عباده الصالحين .

وإن لنا لرجاء من السيد عباس زكى وهو الوزير العالم الصالح أن يتقدم فيحمل علم الاصلاح الدينى ولا يبالى شيئا فى سبيله حتى يصلح الشرق وقد آن ذلك — كما حمله من قبل لوتر فصلح الغرب وساد العالم جميعا .

وإن له فى علمه وإخلاصه وقوة يقينه وما يجد من تأييد رجال الثورة له ما يبلغ به — إن شاء الله — الغاية التى نرجوها والتى سعى لها المصلحان العظيمان جمال الدين ومحمد عبده اللذين جعلا صلاح الشرق فى كلمتين « تطهير العقائد وتحرير الإنكار » أعانه الله وهدانا جميعا سواء السبيل .

القرآن عقيدة وشريعة

للكاتب المغربي

للأستاذ عبد السلام محمد الكبوره

القرآن الكريم ليس كتاب عقيدة فقط — كسائر الكتب المقدسة التي سبقته — ولكنه كتاب عقيدة وشريعة معا وهو أجل نعمة أنعم الله بها على المسلمين فيه العقائد الفطرية الحقة التي يقرها العقل ويطمئن لها الوجدان ، وتربأ بالإنسان عن الخضوع والعبودية لجماد أو حيوان . وفيه أسس التشريع العادل الحكيم الذي يحقق مصالح الناس ويقيم العدل بينهم ويحفظ حقوقهم ويرفع الحرج عنهم . وفيه أمهات الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس ، وتطهرها من الشرور والسيئات وتكفل العيشة الراضية للأفراد والجماعات . وفيه أحسن القصص وأصدقه الذي ينتظم أبلغ العظات وأنفع العبر . وفيه مرآة ترى الحاضرين صور الماضي من المحقين والمبطلين . وهو إلى هذا كله المعجزة الخالدة والحجة الساطعة على صدق النبي عليه السلام في دعواه للناس بدعوة الله ، وهو هدى ورحمة ، وذكرى وموعظة ونور وشفاء لما في الصدور ، وتبيان وفرقان . وهو إمام نهتدي بهديه ومصباح نسير في نوره ودستور نعمل بأحكامه ونهدف إلى أغراضه بتدبر آياته وتفهم معانيه ومعرفة أساليبه ، والوقوف على مرامية ومن نعم الله على خلقه أنه أنزله آيات بينات وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل ويسره للذكر ، وجعل بعض آياته يفسر بعضا فمن فهم بعض آياته سهل عليه فهم كثير من الآيات ومن عرف أسلوب القرآن في موضع عرف أسلوبه في عدة مواضع ، ففي كل آية نور يضيء آيات أخرى ، والتدبر في آية يعين على فهم آيات .

فالقرآن الكريم لم يتعرض للقضايا الجزئية والمسائل الفرعية وإنما اكتفى بما تقرره آياته من مبادىء عامة في تشريع الأحكام العملية سواء في الأحكام المدنية أو الدستورية أو الاقتصادية .

ففي القانون الدستوري أعطانا القرآن الكريم خطوطا رئيسية ثلاثة هي محور الدستور وهي أسسه التي يدور حولها : شورة — مساواة — عدل ...

فالشورى دل عليها قول الله : « وشاورهم فى الأمر » والمساواة نطقت بها آية : « إنما المؤمنون إخوة » والعدل سجل فى قول الله الكريم :

« وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » أما التفصيل فقد وكل لكل أمة أن تقضى فيه بما يلائمها .

أما القانون المدنى فقد أرشدنا إلى أحكام كخطوط رئيسية لتبنى عليها مباحثنا فى هذا القانون وكى نعطى لعقلنا الميزة اللائقة له ، ولظروفنا الحالة التى تناسبها .

قال جل من قائل : « وأحل الله البيع وحرم الربا .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

وقال : « واشهدوا إذا تبايعتم » .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله » .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » .

أما القانون الاقتصادى فقد أرشدنا القرآن الكريم إلى أهم باب فيه وهو الأخذ باليد الكادحة والسير بها إلى طريقة سر الحاجة والرفق على المحتاج .

قال الكريم : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وقال : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

وقال : « واعلموا إنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه » .

وقال : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها » .

هذا وإن الدفاع عن الدعوة الإسلامية ومعاملة أسرى الحرب وأهل الكتاب ومخلفات الحرب وغير ذلك مما ذكر فى القرآن إجمالا وتفصيلا يسمى اليوم بالقانون الدولى العام والخاص .

أما ما ذكر فى القرآن من عدل ومساواة فى الحقوق والواجبات وصلة المحكومين بالحاكمين يسمى اليوم بالقانون الدستورى .

وما تلى فيه من جنايات وجرائم وقتل وزنا وشرب خمر وقذف وعقوبات وحدود وديات يسمى اليوم بقانون العقوبات .

وما ذكر فيه من حق الزواج والطلاق والنسب والعدة والنفقة والحضانة والرضاع والولاية والوصية والإرث وغير ذلك يسمى اليوم بقانون الأحوال الشخصية .

وما سطر فيه من معاملة مالية فى صورة حقوق والتزامات وعقود وإجارة وهبة وإعارة ووديعة وكفالة وحوالة وشركة وصلح وغصب وإتلاف يسمى اليوم بقانون العقود والالتزامات .

أسأل الله الكريم أن ينفع بكتابه المبين عباده الضالين المضلين وأن يجعله ذخيرة لى ولهم شفيعا فى ساعة حسابه آمين .

الوصية الجامعة

للعلامة ابن تيمية

من روائع التراث الإسلامى تلك الوصية الجامعة التى أرسلها ابن تيمية إلى رجل سأله وصية فيها صلاح دينه ودنياه .

هذا سؤال أبى القاسم المغربى :

يتفضل الشيخ الإمام ، بقية السلف ، وقدوة الخلف ، أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب تقى الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية بأن يوصينى بما يكون فيه صلاح دينى ودنياى ، ويرشدنى إلى كتاب يكون عليه اعتمادى فى علم الحديث ، وكذلك فى غيره من العلوم الشرعية وينبهنى على أفضل الأعمال الصالحة بعد الواجبات ويبين لى أرجح المكاسب كل ذلك على قصد الإيمان والاختصار والله تعالى يحفظه والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين .

أما الوصية ، فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها .

قال تعالى : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله »

ووصى النبى « صلى الله عليه وسلم » معاذاً لما بعثه إلى اليمن فقال :

« يا معاذ : اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة بالحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » وكان معاذ رضى الله عنه من النبى « صلى الله عليه وسلم » بمنزلة علية فإنه قال له : « يا معاذ : والله إنى لأحبك » وكان يردفه وراءه .

وروى فيه : أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وأنه يحشر أمام العلماء برتوه ، أى بخطوة — ومن فضله أنه بعثه النبى صلى الله عليه وسلم مبلغاً عنه ، داعيا ومفقها ومفتيا وحاكما إلى أهل اليمن .

وكان يشبهه بإبراهيم الخليل عليه السلام ، وإبراهيم إمام الناس ، وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : « إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين تشبيها له بإبراهيم » .

ثم إنه صلى الله عليه وسلم وصاه هذه الوصية ، فعلم أنها جامعة وهى كذلك لمن عقلها ، مع أنها تفسير الوصية القرآنية . أما بيان جمعها . فلأن العبد عليه حقان : حق الله عز وجل ، وحق لعباده . ثم الحق الذى عليه لابد أن يخل ببعضه أحيانا ، إما بترك مأمور به ، أو فعل منهى عنه .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «اتق الله حيثما كنت» هذه كلمة جامعة ، وفى قوله: « خيثما كنت » تحقيق لحاجته إلى التقوى فى السر والعلانية ، ثم قال : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » فإن الطبيب متى تناول المريض شيئا فهذا أمره بما يصلحه ، والذنب للعبد كأنه أمر حتم . فالكيس هو الذى لا يزال يأتى من الحسنات بما يمحو السيئات . وإنما قدم معنى لفظ هنا محوها لا فعل الحسنة فصار كقوله فى بول الأعرابى « صبوا عليه ذنوبا من ماء » .

وينبغى أن تكون الحسنات من جنس السيئات فإنه أبلغ فى المحو ، والذنوب يزول موجبها بأشياء أحدها التوبة ، والثانى الاستغفار من غير توبة . فإن الله تعالى قد يغفر له إجابة لدعائه وإن لم يتب ، فإذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الكمال .

الثالث : الأعمال الصالحة المكفرة . إما الكفارات المقدرة كما يكفر الجامع فى رمضان والظاهر والمرتكب لبعض محظورات الحج ، أو تارك بعض واجباته ، أو قاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهى أربعة أجناس : هدى وعتق وصدقة وصيام . وأما الكفارات المطلقة كما « قال حذيفة لعمر » : فتنة الرجل من أصله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد دل على ذلك القرآن والأحاديث الصحاح من التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الأعمال التى يقال فيها : من قال كذا وعمل كذا غفر له ، أو غفر له ماتقدم من ذنبه ، وهى كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصا ما صنف فى فضائل الأعمال .

واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالإنسان الحاجة إليه ، فأن الإنسان من حين يبلغ ، خصوصا من هذه الأزمنة ونحوها من أزمنة الفترات التى تشبه الجاهلية من

بعض الوجوه ، بأن الإنسان الذى ينشأ بين أهل علم ودين قد يتلطخ من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف يغير هذا ؟ وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبى سعيد رضى الله عنه لتتبعن سنن من كان قبلكم ، حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . خالوا يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ خير تصديقه فى قوله تعالى « ماستمعتى بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا » ولهذا شواهد من الصحاح والحسان .

وهذا أمر قد يسرى من المنتسبين إلى الدين من الخاصة . كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينه ، فإن كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلى به بعض المنتسبين إلى العلم ، وكثيراً من أحوال النصارى قد ابتلى به بعض المنتسبين إلى الدين ، كما يبصر ذلك من فهم دين الإسلام الذى بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل على أحوال الناس .

وإذا كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للاسلام فهو كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ، وكان ميتا فأحياه الله وجعل له نوراً يمشى به بين الناس ، ولا بد أن يلاحظ أحوال الجاهلية وطريق الأمتين المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى فيرى أن قد ابتلى ببعض ذلك . فأنفع ماللخاصة والعامة والعلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو أتباع السيئات والحسنات . الحسنات ما ندب الله إليه على لسان خاتم النبيين من الأعمال والأخلاق والصفات . وبما يزيل موجب الذنوب المصائب المكفرة ، وهى كل ما يؤلم من هم أو حزن أو أذى من مال أو عرض أو جسد أو غير ذلك ، لكن ليس هذا من فعل الصبر .

فلما قضى بهاتين الكلمتين : حق الله من عمل الصالح وإصلاح الفاسد ، قال « وخالق الناس بخلق حسن » وهو حق الناس ، وجماع الخلق الحسن مع الناس : أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيادة له ، وتعطى من حولك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عمن ظلمك من دم أو مال أو عرض . وبعض هذا واجب وبعضه مستحب . وأما الخلق العظيم الذى وصف الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا ، هكذا قال مجاهد وغيره وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضى الله عنها « كان خلقه القرآن » وحقيقة المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى من طيب نفس وانشراح صدر .

وأما بيان أن هذا كله من وصية الله ، فهو أن رسم تقوى الله يجمع فعل كل

ما أمر الله به إيجابا واستحبابا ، وما نهى عنه تحريما وتنزيها ، وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد . لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية العذاب المقتضية بالانكفاف عن المحارم ، جاء مفسراً ففى حديث معاذ وكذلك فى حديث أبى هريرة رضى الله عنهما الذى رواه الترمذى وصححه « قيل يارسول الله ما أكثر مايدخل الناس الجنة ؟ قال : تقوى الله وحسن الخلق . قيل : وما أكثر مايدخل الناس النار؟ قال : الأجوفان : الفم والفرج » .

وفى الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا » فجعل كمال الإيمان من كمال حسن الخلق ومعلوم أن الإيمان كله تقوى الله ، وتفصيل أصول التقوى وفروعها لايحتمله هذا الموضع ، فإنها الدين كله لكن ينبوع الخير وأصله : إخلاص العبد لربه وعبادته واستعانته كما فى قوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) وفى قوله : (فاعبده وتوكل عليه) وفى قوله : (عليه توكلت وإليه أنيب) وفى قوله : (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له) بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعا بهم أو عملا لأجلهم ، ويجعل همته ربه تعالى ، وذلك بملازمة الدعاء له فى كل مطلوب من فاقة وحاجه ومخافة وغير ذلك ، والعمل له بكل محبوب ومن أحكم هذا فلا يمكن أن يوصف ما يعطيه ذلك .

وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض فإنه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم ، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد، لكن مما هو كالاجماع بين العلماء بالله وأمره : أن ملازمه ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه فى الجملة ، وعلى ذلك دل حديث أبى هريرة الذى رواه مسلم : « سبق المفردون ، قالوا : يارسول الله ومن المفردون ؟ قال : الذاكرون لله كثيرا والذاكرات » .

وفيما رواه أبو داود عن أبى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها من درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : ذكر الله » والدلائل القرآنية والإيمانية بصراً وخبراً ونظراً على ذلك كثيرة . وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم كالأذكار المؤقتة فى أول النهار وآخره ، وعند أخذ

المضجع ، وعند الاستيقاظ من المنام ، وأدب الصلوات والأذكار المقيدة ، مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ، ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك ، وعند المطر والرعد ، إلى غير ذلك ، وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل يوم وليلة . ثم ملازمة الذكر مطلقا ، وأفضله لا إله إلا الله . وقد تعرض أحوال يكون بقيـة الذكر مثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أفضل منه . ثم يعلم أن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهى عن منكر فهو من ذكر الله . ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض ، أو جلس مجلسا يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذى سماه الله ورسوله فقها ، فهذا أيضا من أفضل ذكر الله . وعلى ذلك إذا تدبرت لم تجد بين الأولين فى كلماتهم فى أفضل الأعمال كبير اختلاف . وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة ، فى ندم من استخار الله تعالى . وليكثر من ذلك ومن الدعاء ، فإنه مفتاح كل خير ، ولا يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى .

من معجزات القرآن العلمية

للدكتور محمد وصفى

الحديد ومنافعه الطبية

قال تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ... (٥٧ : ٢٥) ونحن نعتقد أن البأس الشديد فى الآية الكريمة يشير إلى صلابة عنصر الحديد والمصنوعات التى تحتاج إلى هذه الصلابة ، وأن ما نسبه الله إلى الحديد من منافع ينصب على منافع الحديد الكيمائية والطبية ، ونرى أن نذكر شيئا عن الحديد وبأسه ثم ننتقل بعد ذلك إلى بيان صلة الحديد بعلم الطب والعلاج .

١ — قوله تعالى : وأنزلنا الحديد :

والمعروف عن الحديد أنه أكثر المواد انتشاراً فى الأرض ، وهو يوجد خالصا فى الطبيعة على شكل جزئيات صغيرة فى طبقات معينة من البازلت ، وهو يوجد كذلك مشوبا عادة بمادة النيكل والكوبالت والنحاس ، وتوجد كذلك كتل من الحديد سبق اختزالها بالفحم ، ويعرف هذا النوع باسم الصلب الطبيعى Naturalleets وأشهر أنواع الحديد الخام هو الهيماتيت الأحمر Red baematitė والنوع المعروف باسم خام الحديد الاسبكيولر Specular ironore ويرمز له كيائيا بالرمز (ح ٢ أ٣) والهيماتيت الرمادى ويرمز بالرمز (٢ ح ٢ أ ٣ يد ٢ أ) والحديد المغناطيسى الخام (ح ٣ أ ٤) وكلها أكاسيد حديدية ، وفى الرموز السابقة رمز إلى ذرة الحديد برمز (ح) وذرة الأكسجين بالرمز (أ) والهيدروجين بالرمز (يد) ، ويوجد الحديد كذلك على شكل كربونات ويرمز له بالرمز (ك أ ٣) حيث يرمز الحرف (ك) إلى ذرة الكربون ويسمى هذا النوع باسم الحديد الأسباتيكى

ويتركب حجر الحديد المطمى من الحديد المسمى أسباتوز Spathose irou

وهو المخلوط بالسطحى ، والبلاك باند Black bland هو حديد مطمى يحتوى على ٢٠ — ٢٥٪ من الفحم .

ويوجد الحديد كذلك مختلطا بالكبريت فى صورة بيريت الحديد iron pyrites ورمزه الكيمائى (ح كب ٢) حيث حرف (كب) رمز للكبريت ويوجد مختلطا من النحاس فى صورة بيريت النحاس ورمزه الكيمائى (نح ٢ كب ٠ ح ١ لب ٣) وحرفا نح ترمز إلى ذرة النحاس ويلاحظ أن هاتين المادتين لا يستعملان فى استخراج الحديد وإنما يستعملا فى استخراج الكبريت كيمائيا .

ويلاحظ أن الحديد النقى معدن أبيض لماع ، والصلب منة يحتوى على ٣ ر ٠ إلى ما يزيد على ٥ ر ١٪ من عنصر الكربون (الفحم) .

٢ — قوله تعالى : فيه بأس شديد :

أما مافى الحديد من بأس شديد فإن من منن الله تعالى على البشر ، والآية الكريمة تشير إلى ما منّ الله به عنصر الحديد عن سائر العناصر بالصلابة والقوة وهما الصفتان اللتان وجهتا الناس إلى اتخاذه فى عمل مختلف الآلات الصناعية والزراعية والأدوات الطبية التى تحتاج لهاتين الصفتين وما شابه ذلك .

(١) أن أعمل سابغات :

ويتخذ الحديد كذلك فى عمل الأسلحة الحربية على اختلاف أنواعها كالسيوف والمدافع وبعض ملابس الحرب كالخوذات والدروع وما شابهها ، وهو ما أشار إليه الله تعالى فى قوله : ولقد آتينا داود منا فضلا ... وألنا له الحديد أن أعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا إنى بما تعملون بصير (٣٤ : ١٠ و ١١) .

(٢) تجعل بيننا وبينهم سداً :

والصلابة الحديد وقوته تعمل به المنافذ الحديدية والأبواب الحديدية للمنازل لتحميها من اللصوص ، وكذلك بناء الأسوار والسدود وهو ما يشير إليه قوله تعالى يحكى عن ذى القرنين : حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما . آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال

انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطرا . فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (١٨ : ٩٣ — ٩٧) .

٣ — المنافع الطبية للحديد :

وأما قوله تعالى : (ومنافع للناس) فهو كما قدمنا إشارة صريحة إلى ما فى الحديد من منافع طبية .

(١) على الحديد تتوقف الحياة :

فالحديد مع وجوده بنسبة صغيره فى القواعد الأساسية للكائنات الحية حيث لا يوجد منه فى جسم الإنسان كله إلا ستة جرامات ، إلا أنه تتوقف عليه الحياة فهو الذى يحول غاز الأكسجين من الرئة إلى جميع الخلايا فى البدن فكل خلية فى الجسم تتنفس على حدة بواسطة الحديد الذى تحتوى عليه الأنسجة ، فالحديد يتحد بالأكسجين مكونا مركبا معقد التركيب ينحل بسهولة عندما تستخدم الخلية ما به من ذلك الغاز ، وذلك المركب المعقد التركيب هو الهيموجلوبين .

والحديد عامل أساسى كذلك لنمو النباتات فإن له دخلا كبيراً فى تكوين مادة الكلوروفيل فى أجزائه الخضراء .

العارف بالله
السيد عبد الخالق الشبراوى

تقرر الاحتفال بمولد العارف بالله سيدى عبد الخالق الشبراوى رضى الله عنه لمدة أسبوع أعتبارا من يوم السبت الموافق ٥ من أغسطس سنة ١٩٦١ فى ساحة مسجده الكائن بشارع أحمد حسنين بالعباسية أمام بلوكات الأمن ، على أن تكون الليلة الختامية مساء الخميس ١٠ من أغسطس سنة ١٩٦١ .

وصاحب المولد هو العارف بالله قطب الغوث العالم العامل سيدى عبد الخالق ابن سيدى عبد السلام ابن سيدى عمر جعفر الشبراوى ولد رضى الله عنه عام ١٨٨٧م بشبرا زنجى من أعمال المنوفية فى بيت عرف بالصلاح والتقوى . فقد كان جده رضى الله عنه من أكابر العلماء ، وأعظم الدعاة إلى الله تعالى : سلك طريق القوم حتى بلغ درجة الواصلين ، وعنه أخذ كثير من العلماء والصالحين .

ونشأ سيدى عبد الخالق الشبراوى فى كنف جده وفى رعاية والده الذى خلف الجد فى الدعوة إلى الله ونشر الطريقة الخلوتية الشاذلية النقشبندية ، فحفظ القرآن الكريم صغيرا ، والتحق بالأزهر ، وتخرج فيه على أكابر العلماء ، وتبحر فى العلوم الشرعية واللغوية والعقلية ، ونال شهادة العالمية بدرجة الامتياز عام ١٩١٤ م واشتغل بالتدريس فى الأزهر حينا من الزمن وأصبح إمام الطريقة الخلوتية الشاذلية النقشبندية ، ولما جدد مسجد الفتح رغب المسئولون فى اختيار عالم عامل تقى ورع يتولى الإمامة والخطابة والتدريس فى هذا المسجد ، فوقع الاختيار على سيدى عبد الخالق الشبراوى . وكان رضى الله عنه يلازم المسجد ، ويجتمع عليه فيه أتباعه ومريدوه ومحبوه ، وقد عرض عليه أن يترك عمله بالمسجد إلى بعض المناصب الكبرى فآثر الدعوة إلى الحق فى بيت الله على الاشتغال بما سواه . يأخذ بيد الناس إلى الله ، وينشر عليهم من فيض علمه ونفحات بره ما فيه عز الدنيا وسعادة الآخرة .

وظل يقوم بالهداية والإرشاد حتى انتقل إلى جوار ربه الكريم فى ١١ من أكتوبر سنة ١٩٤٧ م ودفن حيث ضريحه المحفوف بالأنوار والبركات فى مسجد فسيح الأرجاء عظيم الرواد تبلغ مساحته هو وملحقاته أربعمائة متر ، ويضم مكتبة قيمة تحوى نفائس الكتب فى مختلف العلوم والفنون كما يضم « مصنفه » يجد فيها الآلاف من قصاده وزواره من شتى الأقطار الراحة والطمأنينة .

رضى الله عنه وجزاه من فضله ورضوانه جزاء ما بذل فى سبيل الدعوة إلى الله .

بين يدى عمر

تأليف الأستاذ خالد محمد خالد

عرضه ونقد الأستاذ سعيد حمزة مكرم المحامى

منذ عشر سنوات أو يزيد ، التقى قراء العربية بالأستاذ خالد محمد خالد ، على صفحات كتابه الأول « من هنا نبدأ » وقد كان لكتابه هذا وقتذاك دوى ، ملأ أروقة الأزهر ، وقاعات المحاكم ، وأنهار الصحف ، وأندية الأدب والفكر ! ! فقد عالج فيه خالد بحثاً شديد الخطورة والحساسية ؛ وكان طبيعياً أن يختلف الناس ، أيما اختلاف ، فى شأن عالم من علماء الأزهر يرفض نظرية الدولة الاسلامية أو الدينية فى إصرار صريح ! !

ولقد أسرف بعض من أنكروا عليه رأيه هذا ، فاتهموه فى اصالة فكره واستقلاله بل وفى ذمته ودينه ! !

وعلى الرغم من اننى لم أكن أذهب مذهبه فى هذه القضية ، لم أسىء قط ظنى بالرجل فما هكذا يتحدث مدخول عقيدة أو رخيص ضمير ! فلقد كان خالد محمد خالد ، فى كتابه ، جادا غير هازل ، أصيلا غير منتحل ، مستنيرا لا يضرب فى الظلام . وإذا كانت الطريق قد انحرفت به إلى يسار فحسبه انه مجتهد لا يرجو إلا الخير لقومه ، والوقار لدين الله .

ومنذ ذلك اليوم البعيد ، وأنا أحس رباطا يشبه الصداقة يشد عواطفى إلى خالد محمد خالد ! لم أره حتى اليوم ، وان كنت حريصاً على أن ألقاه دائما فى كل ما يكتب !

وبهذا الكتاب — « بين يدى عمر » — يكون خالد قد أخرج فى هذه السنوات ستة عشر كتابا ، يحتضن كل كتاب منها بين دفتيه ، هدفه الجليل ، يتوسل إليه بالعنوان المثير المشرق ، وبالعرض الحار المحتفل ، وبالأسلوب المتفرد المتألق !

وهو فى كل كتبه ، إذا اعتنق رأيا جهر به فى غير تردد ، بل فى اقتحام . وما أظن أن أحدا — مهما كان رأيه فى خالد — يستطيع أن ينكر عليه مكانه فى الطليعة

الفدائية ، من الكتاب والمفكرين ، الذين شرعوا أقلامهم فى وجه الملك السابق فى أوج جبروته !! وكانت كتاباتهم ارهاصا مبشرا بثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

ومنذ ذلك اليوم ، الذى أعلن فيه قلم خالد محمد خالد إيمانه بالحرية ومستقبل الانسان ، وهو ماض فى سبيله لم يتنكر للحرية ، ولم يتزعزع إيمانه بمستقبل الانسان .

وكتابه الذى بين أيدينا اليوم ، يأخذ مكانه فى الخط العريض الواضح لكل كتبه فهو إذ يكتب عن عمر بن الخطاب فلأنه قمة انسانية يتطلع إليها غد البشرية فى تفاؤل وشوق .

وخالد محمد خالد لم يرد لهذا الكتاب ، أن يكون تاريخا لحياة ابن الخطاب وانما هو وقفة متطلعة واعية (بين يدى عمر) .

والحق أن خالد قد استطاع أن يدير عدسته ، فى براعة ، فى رحاب عمر ، « ليلتقط » مشهدا من هنا وآخر من هناك ، فإذا نحن وكأننا نعيش مع أمير المؤمنين أيامه الجليلة المباركة !! وكنت أود أن اجتزىء بعض هذه الصور والمشاهد ، لقارىء هذا المقال ، بيد اننى وجدت ان مثل هذه المحاولة قد تسىء إلى عمل فنى رائع من الخير عندى أن يظل محتفظا بطابع صاحبه ، وأنا — بعد — أريد أن أخلى بين القارىء وبين هذا الكتاب ليهز قلم خالد محمد خالد وجدانه لدى كل لمحه ، وأمام كل صورة ، وعند كل مشهد !!

وأشهد لقد غالبت دمعى ، فغلبنى أكثر من مرة أمام روائع عمر وكلما حاولت أن أعلق على مشهد منها وجدت قلم خالد محمد خالد قد سبقنى فاستنفد — عنده — طاقة اللغة فى التعبير المحكم الملهم المضىء !!

وبعد فما أجدر المؤسسات المعنيه بشئون التربية والتعليم والثقافة والتوجيه بأن تتبنى نشر هذا الكتاب القيم فى أوسع نطاق ممكن ، ليتلقى الناس — حكاما ومحكومين هذه الدروس الجليلة المضيئة الرائعة (بين يدى عمر) ؟

شاهد الحال فى المقال

للاستاذ السيد محمد عبد الشافعى

اقتضت حكمة ربك الحكيم العلام أن يخلق الإنسان على هذه الشاكلة ، وأن يجعل له أعضاء متعددة وحواس مختلفة وجعل لكل حاسة وعضو فيه مأمورية خاصة من أجلها خلق ذلك العضو أو هذه الحاسة . وكما أنه يتعذر على أى عضو فيه القيام بمأموريته التى خلق من أجلها لمرض لحقه ، فكذلك فيه لطيفة ربانية . هى محل الفقه فيه . يطلق عليها لفظ القلب . وما خلقت هذه اللطيفة فى الواقع إلا لدوام ذكر الحق ، والتفكر فى جميل آلائه وعظيم مصنوعاته ، ليحصل لها من جلال الله ومعرفته ما يجعلها تقود البدن إلى السعادة ، إن زكت وصلحت فإن لحقها مرض عاقها — كما عاق أى عضو آخر فى الإنسان من القيام بمأموريته التى من أجلها خلق — استجرت الإنسان إلى الهاوية وأوجبت له ولها الشقاء .

وإلى ذلك يشير قول الله تعالى : « قد أفلح من زكاها وخاب من دساها » .

ولا شك أن كثرة القلوب معتلة مريضة . ويمكن للكيس الرشيد أن يفهم موضع الداء من قلبه ، ان هو عرض القلب منه على قول الله تبارك وتعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » فبمقدار تعلق القلب بغير الله وإيثاره على ربه بمقدار إعراض القلب عن الله ، وما خلق القلب ليعرض عن سيده ، وإنما خلق لدوام الاقبال عليه والذكر له . لذلك كانت تزكية القلب والعمل على طهارته من أول واجبات المرء نحو ربه ونفسه ، وترك ما أوجبه الله إثم يجب الإقلاع عنه . ولا تزكية للقلب إلا بعلم وعمل ، أما العلم : فهو العلم بأحكام الله وصفاته — وأما العمل : فهو العمل بأحكام الله والوقوف بالنفس عند الحد المرسوم لها شرعاً . وإذا كان العلم يتطلب من المرء العمل فكذلك العمل يثمر للعلم : قال تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » وقال صلى الله عليه وسلم : (من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم)

إلا أن العلوم منها ما هو متعلق بالأعمال وحكم الله فيها ، ومنها ما هو متعلق بالقلوب وما يجب أن تتخلى عنه من رزائل وما تتحلى به من فضائل لتكون صالحة فى ذاتها للفيض الإلهى الأقدس والدخول فى حضرات القرب . ولا بد للمشتغل بعلم الفقه المتعلق بأعمال الجوارح من الأخذ بعلم القلوب والعمل به وإلا وقع فى الفسوق ، كما لا بد للمشتغل بعلم القلوب أن يأخذ بعلم الفقه حتى تسلم عقيدته وعمله وإلا وقع فى الزندقة — وقد قرر ذلك الإمام مالك رضى الله عنه بقوله : من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق . ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق . ومن تحقق وتشرع فقد كمل . رضوان الله عليه . إلا أن الناس منهم من شغله علم الأحكام عن الأخذ بعلم القلوب ، ومنهم من شغله علم القلوب عن علم الفقه والتوغل فيه ، ومنهم من جمع الله له بين الأمرين ، فكان من الراشدين حقاً .

الأول : لا يسلم قلبه فى الغالب من حب لغير الله أو رزيله .

الثانى : لا يسلم أمره فى الغالب من شطحات فى حالة السير .

أما الثالث : فقد ملك الشرع فيه زمام حاله ، فما انتقل القلب منه من مقام إلى مقام ، ولا انصبغ بحال من بعد حاله ، ولا تكشفت له حقيقة من الحقائق ، ولا تنزل عليه وارد من الواردات إلا وقام له فى كل ذلك من كتاب الله وسنة رسوله . فلا يتعارض الحال فيه مع الشرع ، ولا يحرم بالوقوف مع ظاهر التشريع عن لبه وحقيقته . ولاختلافات النزعات وسلوك كل فرد طريقه على هذه الصورة كان لا بد لكل قلب فى كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة صفات وأحوال غالبة عليه ، هى عبارة عن كسوة ذلك القلب وصنعته . وما تكلم متكلم فى الواقع إلا وهو معبر عن حاله ؛ ولذا قيل إن الكلام صورة المتكلم ، أى صورة قلبه ونفسه الباطنة . وكما أن لكل شخص فى الوجود أحدية تميزه عن غيره ، فكذلك لكل قلب من القلوب رواء خاص يتميز به عن سواه يشهده البصير حينما ينطق صاحبه ، ومن ثم يمكنه الحكم عليه بأنه سليم القلب أو معتل ، بأنه فقيه أو غير فقيه ، بأنه سالك أو غير سالك ، بأنه عارف أو غير عارف ، هذا مع معرفة ما بهذا القلب من كمال أو نقص ، فى كل ما هو فيه من حال ومقام إن كان سالكا أو عارفا . من رزيلة وفضيلة إن كان فقيها ، من فسوق وإعراض إن كان مؤمناً أو غير مؤمن فباطن المرء فى الحقيقة ظاهر فى كلامه . ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (من أسر سريرة ألبسه رداءها) وصدق حيث قال : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) والله يقول الحق ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

إنتقال المدنية الإسلامية إلى الغرب

للأستاذ جابر سيد الجزار

هب المسلمون من شبه الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى ليكونوا امبراطورية عظيمة مترامية الأطراف — فسارت الحضارة فى ركابهم أينما حلوا — وصاحبتهم المدنية كيفما اتجهوا — فلم يقتصر أثرهم الحضارى على الشرق وإنما كان تأثيرهم فى الغرب لايقل خطورة وأهمية — يقول « لوبون » : ولقد كان أثر حضارة المسلمين فى الغرب قويا فى النواحى العلمية والأدبية والخلقية » .

أما المعابر التى سلكتها الحضارة الإسلامية فى طريقها إلى أوربا فهى : سوريا ، وصقلية ، والأندلس . واستانبول وسأتناول كلا منها بإيجاز :

١ — سوريا :

فقد كانت — وما ارتبط بمسرحها من حروب صليبية — ذات أثر فعال فى هذا الميدان . فالحروب الصليبية قد صحبها بعض النشاط الفكرى والحضارى — إذ وجد من اللاتين — الذين استقروا فى الأراضى المقدسة — من كتب فى التاريخ مثل : « وليم الصورى » ، أو فى القانون مثل : « حنا الإبلينى » و « فيليب نافارى » كما انسابت بعض الكلمات والمصطلحات العربية إلى اللغات الغربية . كذلك أثرت الحروب الصليبية فى تطور فن الحرب عند الغربيين . ولا سيما فيما يتعلق ببناء القلاع ذات الحوائط المزدوجة ، هذا بالإضافة إلى ما أدت إليه الحرب من تقدم حركات الحصار واستعمال المجانيق والكباش الهادمة واستخدام الدروع للفرسان وخيولهم والمراسلة الحربية عن طريق الحمام الزاجل . . ومن المحتمل أن يكون الغرب قد أخذ عن الشرق — إبان الحروب الصليبية — ألعاب المبارزة التى تشبه كثيراً ألعاب « التحطيب » عند الشرقيين . كذلك نلاحظ كثرة استعمال الشارات والرنوك نتيجة الاتصال بالمسلمين فى سوريا .

وبالنظر إلى المؤثرات الإسلامية فى الحياة الأوربية نتيجة لنمو التبادل التجارى الذى أثارته الحروب الصليبية نلاحظ انتقال نباتات وحاصلات وأشجار جديدة من

شرق البحر المتوسط إلى غربه مثل : الثوم والبطيخ والأرز والليمون ، كذلك انتشرت فى الغرب العقاقير والأصباغ والتوابل الشرقية كما كثر استعمال وصناعة الأقمشة التى نسبت إلى بلدان الشرق مثل : الموسلين . نسبة إلى الموصل ، والدمشق . نسبة إلى دمشق ، وغيرها .

وكذلك الناعورة نقلها الصليبيون من حماة إلى بلادهم . فعندما شاهدوا النواعير ترفع المياه من نهر العاصى أعجبوا بها فاقتبسوها بأن نقلوا نماذج منها إلى ألمانيا .

٢ — صقلية :

وهى المعبر الثانى الذى انتقلت عنه حضارة الإسلام إلى غرب أوربا حيث صار للثقافة الإسلامية شأن كبير .

فالأمر الثابت أن صقلية وجنوب إيطاليا وأسبانيا كانت هى المراكز الثلاثة للثقافة الإسلامية فى الغرب .

هذا وقد اهتم المسلمون فى القرن التاسع الميلادى بوسائل الزراعة فى صقلية والقنوات وأنشأوا المجارى المعقوفة التى كانت مجهولة قبلهم كما أدخلوا زراعة القطن وقصب السكر . وفى الصناعة اشتغلوا بالتعدين فاستخرجوا الفضة والحديد والنحاس والكبريت ، وكذا أدخلوا صناعة الحرير . كما ارتفعت التجارة فى عهدهم وقد كانت قبلهم فى الحضيض . أما العمارة فقد بلغت حد الروعة . ونستدل على هذا من النادر المتبقى من مبانى المسلمين فى صقلية .

هذا ولم تنته الحضارة الإسلامية بانتهاء حكم المسلمين فى صقلية فقد وجدت فى ملوك النورمان خير مشجع لها لما لمسوه من تقدم فى الفنون والصناعات والعلوم . . ويوجد فى « نورمبرج » رداء من الحرير اعتداد ارتداءه ملوك صقلية وهو مطرز بكتابات عربية بخط كوفى يرجع تاريخه إلى سنة ١١٣٣ . كما شجع ملوك صقلية ترجمة الكتب والمؤلفات العربية واحتفوا بالعلماء والأدباء والجغرافيين والفلكيين المسلمين . ولأمر ما نرى الشعر الشعبى المبكر فى إيطاليا يتفق فى أوزانه مع الشعر الشعبى الأندلسى مما يدل على أن الثقافة الإسلامية كانت هى المؤثر الواحد فى الحالتين.

٣ — أسبانيا :

ولاشك أن الفضل الأكبر فى تغذية غرب أوربا بأصول الحضارة يرجع إلى عرب

أسبانيا ، فقد تولوا تقديم خلاصة الفكر الإسلامى فى العلوم والفنون والآداب والفلسفة إلى الغربيين . هذا فضلا عن تعريفهم بالكثير من تراث الإغريق الذى اندثر ولم يبق إلا ما ترجم منه إلى العربية بمعرفة المسلمين .

وقد كانت أسبانيا قبل الفتح الإسلامى لها — فى أوائل القرن الثامن — كسائر بلاد الغرب الأوربى المعاصر يخيم عليها الجهل والتأخر والفوضى . وليس أدل على ذلك من اشتراك أحد كبار أمرائها مع رئيس الأساقفة بأشبيلية فى مساعدة المسلمين على فتح أسبانيا فنقلوها إلى مرحلة استقرار وإنشاء حتى أصبحت — فى ظل الأمويين — أغنى البلاد الأوربية وأكثرها ازدحاماً بالسكان . وانصرفوا بعد فتحها إلى الاهتمام بالعلوم والآداب والفنون فابتكروا وجددوا فى هذه الميادين مما أتاح لأوربا مورداً عذبا استساغت شرابه فظلت تنهل منه منذئذ حتى النهضة الايطالية فى القرن الخامس عشر . بل وبعد ذلك أيضا . . وقد وصلت الحضارة الاسلامية ذروتها فى الأندلس فى منتصف القرن العاشر عندما أصبحت قرطبة — عاصمة الخلافة الأموية — من أعظم مدن العالم ، بها ما يزيد على مائتى ألف منزل يسكنها مليون نسمة كان يمكنهم السير فى شوارعها المنظمة بعد غروب الشمس على ضوء المصابيح العامة . بينما ظلت «لندن» سبعة قرون — بعد ذلك لا يوجد فى طرقاتها مصباح عام واحد يضىء ليلا .

وقد أقبل المستعربون الأسبان على استعمال اللغة العربية — لغة الفاتحين — بل وتفضيلها على اللاتينية كما تتلمذ كثير من يهود أسبانيا على أساتذتهم المسلمون مما أوجد مدرسة كبيرة من غير المسلمين يستطيع أفرادها القيام بالسفارة بين المدنية الإسلامية فى الأندلس وأهالى غرب أوربا المتلهفين على تعرف علوم المسلمين ومعارفهم . . وعندما سقطت طليطلة فى أيدى المسلمين سنة ١٠٨٥ م ازداد تدفق طلاب العلم من غرب أوربا إلى أسبانيا للاستزادة من العلوم والفنون الإسلامية فنشطت حركة الترجمة عن العربية — وقتئذ — نشاطاً منقطع النظير استمر حتى القرن الخامس عشر الميلادى .

وإذ ظن بعض المتعصبين من المسيحيين — مثل رئيس الأساقفة الأسبانى « الزيمينيس » الذى حرق أكثر من ثمانين ألف كتاب عربى — أنهم — بذلك — يستطيعون محو آثار الحضارة الإسلامية بالأندلس — فإن هؤلاء فاتهم أن ما تركه المسلمون من طرق معبدة وجسور مرفوعة ومشافى وفنادق مبثوثة كل ذلك كفيل بتخليد اسم المسلمين . . والإشادة بآثارهم .

قال لوبون: « إنه لا يوجد فى أسبانيا المعاصرة من أعمال الرى سوى ما أتمه العرب »

٤ — المستشرقون :

هذا وإن كانت هذه هى أهم المعابر التى انتقلت عبرها المدنية الإسلامية إلى الغرب فإنها لم تكن كلها . . ذلك أنه لما لم تكن هناك خطة منظمة لنقل وترجمة معارف المسلمين إلى لغات العرب فى العصور الوسطى فقد انتبه الأوربيون من غفلتهم ليجدوا أمامهم معيناً لا ينضب من المؤلفات العربية فى شتى العلوم والفنون فأقبلوا ينهلون منه. فهذا : « أدلارد الباثى » قام برحلة طويلة طلباً للعلم وطاف بمصر والشام وأسبانيا ودرس على المسلمين علمى الفلك والهندسة — ومثله : « ليوناردو فيبوناتشى » الذى عاصر « فردريك الثانى » فقد طاف بمصر وسوريا حيث تعلم الجبر عن العلماء المسلمين وكان أول مسيحى اشتغل به .

وفى الوقت الذى قيدت فيه الكنيسة تفكير الأهالى — فى غرب أوربا — بتزمتها وإلزامهم بحصر نشاطهم الفكرى داخل حدود معينة كان مفكروا الإسلام وعلى رأسهم « ابن رشد » يضربون للعالم مثلا فريداً فى حرية الفكر . . لذا ولى الأوربيون وجوههم شطر الحضارة الإسلامية وانكبوا على دراسة علوم المسلمين بشراهة وحماس مما ترك آثارا واضحة فى الحياة الفكرية فى أوربا فى مختلف فروع المعرفة حتى فى العصر الحديث اتجه الأوربيون للإفادة من التراث الإسلامى الذى كان — حتى أوائل القرن الحالى — مغموراً محجوبا أغلبه . وكانت المطابع قد ظهرت فى أوربا منذ أواخر القرن الخامس عشر ، وطبعت فى روما بعد ذلك بنحو قرن كثيراً من الكتب والوثائق الإسلامية . . فأصبحت مدينة « ليون » منذ القرن السابع عشر مركزاً هاماً لنشر الآثار الإسلامية . وقد ظهرت بعض الكتب العربية لأول مرة بترجمات لاتينية كانت منذ ظهورها مستقى خصباً لمؤرخى الغرب — وكذلك كانت المطابع الأوربية — ولا سيما فى ليدن وباريس — قد نشطت منذ أوائل القرن التاسع عشر لإخراج طائفة كبيرة من الآثار العربية النفيسة على يد عدد من أعلام المستشرقين . ولتبين مدى تأثير المسلمين فى أوربا فسأتناول كلا من ألوان النشاط الفكرى والثقافى والفنى على حدة . . قال ديورانت : « ليس ما نعرفه من ثمار الفكر الإسلامى إلا جزءا يسيرا مما بقى من تراث المسلمين ، وليس هذا الجزء الباقى إلا قسما ضئيلا وليس ما أثبتناه فى هذه الصحف إلا نقطة من بحر تراثهم » .

عصر المرأة

للأستاذ محمود سلبي

ما زالوا بالمرأة يزينون لها أن تكشف ما ستر الله من حسنها ، حتى كان ما أرادوا ، وكشفت لهم المرأة عن أحسن ما فيها ، فى أحسن أساليب العرض .

قالوا لها لقد مضى عهد (الحريم) يا سيدتى ، وصفقوا لما قالوا ، وأوجست المرأة خيفة فى نفسها ، مما يقولون ، وجعلت تفكر وتفكر ، ثم استسلمت لهم أخيراً ، وخرجت عارية أو شبه عارية ! ! .

ونادى زبانية الفكر نساء العالم كله ، أن اخرجن أيتها الحميلات ، وشاركن فى كل شىء فلستن بعاجزات ولا فاجرات .

وكأنما المرأة قد انتفض فى باطنها مارد الانتقام ، فخرجت على كل شىء ، ودخلت فى كل شىء ! !

ونزلت إلى الحياة تحمل سلاحين ، سلاح الجمال ، وسلاح الأعمال .

أما سلاح الجمال فهو سلاح لا يقاوم ولا يدافع ، سريع المفعول ، فتاك الآثار .

وأما سلاح الأعمال فهى تؤديه كما يؤديه الرجل وزيادة .

فهى بذلك تتفوق على الرجل فى ميادين الحياة .

تتفوق عليه بسلاحها الخاص بها ، سلاح الجمال ، ذلك الذى تلقيه فى تحركاتها ، فتجد من يسرع إليها ، متطوعاً ، أو معجباً ، يعينها فيما شاءت ، ويفتح لها مغاليق ما تريد .

وتتساوى معه بعد ذلك فى قيامها بنفس العمل الذى يقوم به الرجل .

وإذا التقى سلاحان وسلاح عرفت النتائج قبل البحث فى المقدمات .

النتيجة أن المرأة تفتح لها الدنيا كلها الآن ، وأن الرجل تغلق فى وجهه أكثر مداخل الحياة ! ! .

لماذا . . . لأن المرأة دخلت الحياة بسلاحيها ، والرجل ذو سلاح وحيد . . . هو العمل .

وإذا عرف أن المرأة على استعداد لأن تنفق الكثير ليقال عنها جميلة ، أمكن إدراك الخطر الأكبر الذى يهدد العالم كله ، بسبب اطلاق المرأة .

لقد أطلقوها فانطلقت . . . حرة فى أوسع معانى الحرية .

حرة فى زينتها . . . ويا ويل العالم إذا عاشت المرأة حرة فى إبراز زينتها إلى الناس : إنها تحول كل شبر من الأرض ، تسعى عليه بساقيها ـ إلى معرض من معارض فتنتها ! .

حرة فى أفكارها . . . ويا ويل العالم إذا ترك المرأة تفكر كيف شاءت ، بلا قوامة من الرجل على تفكيرها ! .

حرة فى اختيار أسلوب الحياة الذى تريد هى أو تمليه على المجتمع . . . ويا ويل العالم إذا وضعت المرأة له أسلوب حياتها هى على أنه هو الأسلوب ! .

ووصلت كثير من المجتمعات الغربية إلى مستوى تمحى فيه الفوارق محواً تاماً بين الجنسين ، فكل ما للرجل هو للمرأة ، وكل ما للمرأة هو للرجل

ففى مجتمع أمريكا وصلت المستويات النسائية فيه حدا تسامت فيه على الرجال فى أكثر الأعمال .

فرجال الأعمال يفضلون المرأة الجميلة فى أعمالهم لأنها أقدر على جلب الزبائن ! .

والمرأة لها الصدارة فى الحفلات ، والبيوتات ، الفوق والمصانع ، اتات ، والإذاعات ، والأفلام ، والتأثير على جمهور الناخبين ! .

حتى أذواق « الموضة » بدأت تتجه إلى محاولة التوحيد بين أزياء النساء وأزياء الرجال ، تحقيقاً للفكرة المسيطرة عليهم ، فكرة التساوى بين الجنسين ! .

وجاء دور الدول المتخلفة فى المدنية ، فقامت هى الأخرى تقلد الدول السابقة فى هذا الميدان .

وأصيب تلك الدول بما يصيب المتخلف إذا أراد أن يلحق بمن سبقه ، أنه يريد أن يصل إلى مستوى سيده بأى أسلوب وبأى ثمن .

وهذا ما عليه المجتمع العربى الآن . . .

مجتمع متخلخل مضطرب ، لا يؤمن بتقاليده القديمة ، ولا يؤمن بعاداو الغرب الوافدة إليه .

فهو مجتمع بعانى عقدة نفسية حادة ، فلا هو يملك الجرأة لنبذ كل ما ب قديم ،

ولا هو يملك الجرأة للأخذ بكل ما هوجديد .

ويبدو هذان الاتجاهان واضحان متلازمان فى تصرفات كل إنسان عربى نال حظاً من الثقافة الحديثة .

هو مركب مختلط ، ومزيج ، فى تصرفاته وأفكاره ، ونظراته إلى الأمور .

حتام نبقى هكذا ؟ . وأين طابعنا العربى الخالص فى هذا النحو من الحياة ؟ .

فمن المعروف أن المرأة العربية ، امرأة لها تقاليدها العتيدة ، المؤسسة على الدين والعرف .

وأنها عاشت قروناً طويلة فى مجتمع انفصالى لا يسمح فيه بالاختلاط .

وأن هذا المجتمع الإنفصالى قد ترك رواسبه فى أعماقنا جميعاً .

وأن الرجل العربى لايطيق أن تخالط امرأته غيره من الرجال ، وأنه إذا سمح لها بذلك ، فهو يسمح به قهراً لا اختياراً ، ومجاراة لما هو كائن لا إيماناً بما هو قائم .

ومن المعروف كذلك أن سمات مجتمعنا العربى لم تتبين بعد فى هذه الزاوية من الحياة .

فكيف السبيل لنتبين طريقا إلى سمات المرأة العربيه الحديثة ، وما ينبغى أن تكون عليه نساؤنا ؟ .

إن أكثر الناس يظنون أن هذا الأمر هو أعقد العقد فى المجتمع العربى ، وأن الوصول إلى حل يرضى الجميع فى هذا المشكل هو احدى المستحيلات .

وهم يؤيدون نظريتهم تلك بقولهم أن المدنية الحديثة إما أن تؤخذ كلا أو تترك كلا ، وأن محاولة المزج بينها وبين التقاليد العربية محاولة فاشلة وجهد ضائع ، يؤدى بنا إلى مسخ الجانبين ، فلا نحن تغربنا ولا نحن تعربنا .

كذلك يقولون ، وهو قول له وجاهته ، وفيه شىء من الحق ، إلا أنه لا يحل إشكالا ، ولا يصنع علاجا .

والحقيقة أن الأمر سهل ميسور لو أخذناه بشىء من الحكمة والتفكير .

أما أن نزعم أن الأمر عقدة العقد ، ثم نجلس نتثاءب والزمان يمر سريعا علينا . فذلك شأن الفاشلين الحالمين ، لا شأن المجاهدين الثائرين .

أقول إن المخرج غاية فى السهولة ، وغاية فى البساطة . .

وما علينا إلا أن نتقهقر عبر القرون لنقف وجها لوجه مع أصل هذه البشرية كلها . . . آدم وحواء .

هنالك نجد الإنسان كما خلقه الله . . . ذكراً وأنثى ، ونجد توجيه الله تعالى للجنس كله فى قوله سبحانه « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . . . . » .

إذاً مسألة الملابس ينبغى أن يراعى فيها عدم الإثارة للجنس .

وهذا هو الأصل الأصيل فى مشكلة ملابس الخروج .

كل ملبس لا يثير للجنس فهو حلال ، وكل ملبس يثير للجنس فهو حرام .

وقد جاءت الشريعة الإسلامية الشاملة الكاملة فى هذا المضمار .

فحرمت أن يبدو الأجنبى من المرأة سوى وجهها وكفيها .

وحرمت كل ملبس تلبسه المرأة يشف عن جسمها أو يصف جسمها .

وفى حدود هذه التوجيهات العامة يمكن أن تنتظم ملابس الخروج لنسائنا العربيات .

ماذا أريد أن أقول ؟ .

أريد أن أقول إننا لسنا دعاة جمود ولا رجعية ، ولكننا لا نقبل الفجور والانحلالية .

والفضيلة دائما وسط بين رذيلتين .

فنقطة الالتقاء بين الرجعية والانحلالية يمكن أن تكون هى الفضيلة للمرأة العربية فى هذا الزمان .

ونحن لا نستطيع أن نقول للمرأة العربية الحديثة الآن أطيلى جلبابك حتى يجرجر من ورائك شبرين أو ثلاثة لأن الدين يحب هذا .

ولا نستطيع أن نقول عودى إلى الحبرة واليشمك ، لأن هذين الرداءين ليسا فرضا فى الإسلام .

ولكن نستطيع أن نقول لها كونى فاضلة بما يتناسب مع تقاليد عروبتك ودينك .

خذى من « المودات » ما يتناسب مع تلك التقاليد وانبذى منها ما يضاد هذه التقاليد .

فإن لم تجدى فى « المودات » ما يناسب تقاليدنا فانبذيها كلها ، وابتكرى أنت الأزياء العربية ، والمودات العربية .

وكما أصبحت لنا فلسفتنا السياسية المستقلة النابعة من ضميرنا ، وفلسفتنا

الاقتصادية النابعة من مصالحنا ، فإنه ينبغى أن تكون لنا فلسفتنا الاجتماعية النابعة من تقاليدنا .

لا ينبغى أن نظل عالة على الغرب فى أزيائنا بدعوى أنه لا يوجد لنا أزياء .

ينبغى أن يكون لنا أزياء . ينبغى أن يبرز الزى العربى النسائى إلى الوجود . . . ينبغى أن يعلن عن نفسه ، وأن تلبسه المرأة العربية ، وأن تتميز به بين نساء العالم كله حتى يقال هذه امرأة عربية .

ولست أدرى لماذا أبينا أن نقلد الغرب أو الشرق فى سياسته واقتصاده ، واعلنا فى العالم كله سياستنا الجديدة المستقلة . ولا نأبى أن تقلد نساؤنا نساء الغرب فى أزيائها .

إن ما نحن عليه هو من رواسب الاستعمار ، وقد خرج الاستعمار ، فينبغى أن تخرج معه رواسبه .

فالأمر إذا ليس عقدة العقد كما يتصورون ، بل هو يرتكز على أساس واحد ، هو عدم الإثارة .

وأى ملابس لخروج المرأة تحقق عدم الإثارة ، فهى ملابس عربية وهى ملابس إسلامية .

وفى نطاق هذا الاطار ينبغى أن تدور « الموضات » العربية ، وتتحدد سياستنا الاجتماعية .

وهو شىء عملى سهل إذا أردنا له تنفيذاً ، وأحببنا له تطبيقاً .

ما علينا إلا أن يحدد القانون لواضعى الأزياء النسائية الاطار العام لتلك الأزياء وأن يستضىء واضعوا ذلك القانون بهدى الشريعة فى ذلك الاتجاه ، وأن يكون فهمهم للشريعة فهم الرجل الحديث ، الفاقه لدينه ، المتطور مع زمانه .

وبهذا نقضى على تلك الفوضى فى أزياء نسائنا ...

تلك الفوضى التى سولت للمرأة العربية أن تكشف ظهرها ، وصدرها ، وتحت إبطها ، وساقيها ، لمن شاء أن يرى !! .

ولئن كان هذا أمراً غريباً طبيعيا فهو ليس بعربى ولا من طبيعتنا ... وإنما هى رواسب الاستعمار مازالت تعيش فى مجتمعنا .

وكما حددت الآية مهمة الشيطان أنه ينزع عن الجنس لباسهما ليريهما سوآتهما ، أى أنه يعمل جاهداً لينزع عن الجنسين لباسهما ليريهما عوراتهما :

ومتى تم ذلك تمت الاثارة ، ومتى تمت الاثارة تمت الجريمة . ومتى تمت الجريمة تخلخل المجتمع . وتطايرت الفضائل .

إن الغريزة الجنسية ليست فى حاجة إلى إثارة حتى نعمل على إثارتها بكل الطرق كما هو اتجاه المدينة الغربية الحديثة .

وإنما نحن فى حاجة إلى إنامتها فى المجتمع . ليتفرغ المنتجون إلى إنتاجهم ، والعاملون إلى أعمالهم .

أما أن نثيرها وتخرج نساؤنا يشعن الفتنة حيث سرن ، فذلك ليس من أخلاق العرب ولا من أخلاق الانسان ، وإنما هو انحطاط مابعده انحطاط فى المجتمع الانسانى.

ومن أعجب ما أصيب به الناس أنهم ألفوا ما نحن فيه ، وأصبح وليس من المستغرب أن يجرى بيننا هذا الانحلال ! .

فعلى الذين يريدون حلا لأزياء نسائنا أن يتفكروا فيما قلناه ... وسوف ينشرح صدرهم لما قلنا .

وعلى الذين يريدون إبراز سمات مجتمعنا العربى ، أن يلتمسوا ذلك من توجيه شرائعنا السماوية ، وعاداتنا العربية الكريمة .

وعلى الذين يريدون للمرأة العربية النهضة أن ينهضوا بها بحق ، وذلك بصيانتها من الابتذال والمهانة ، ورفعها إلى مقام الحفظ والصيانة .

وعلى الذين ينادون بالمساواة بين الرجال والنساء ، أن يعلموا أن المرأة امرأة والرجل رجل ، وأن الله أراد ذلك أزلا وأبدا رغم أنوفهم ، وأن الحق من ذلك الأمر أن يعرف كل جنس موضعه الصحيح من الحياة ، لا أن يشابه كل منهما الآخر.

فليس الحق أن تقول أن الماء والنار سواء ، ولكن الحق أن تقول أن الماء ماء والنار نار .

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟ .

تحية من جنود الاقليم الشمالى
لمجلة الإسلام والتصوف

إن من آيات الوعى الجديد الصاعد ، بين أفراد قواتنا المسلحة ، فى عهد ثورتنا البناءة ، تلك الرسالة الكريمة التى ارسلها إلينا الجندى السيد عبد الله بن عبد القادر العمار ، من جنود جيشنا الباسل فى الاقليم الشمالى من جمهوريتنا العربية المتحدة .

وفى كل كلمة منها روح محلق ، وحياة متدفقة ، وإيمان متوثب ، ووعى جديد هادف قوى .

ونحن ننشرها كما هى بألفاظها ، دون تعديل أو تنقيح ، لأنها كلمات نابعة من القلب والوجدان ، لامن القلم واللسان : وهى . . .

سماحة قدوة المتصوفين الاستاذ السيد محمد محمود علوان وجميع أسرة مجلة الإسلام والتصوف المحترمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وارجو الله تعالى أن تصلكم رسالتى هذه وأنتم حائزين على تمام العافيه التى أرغبها لكم على الدوام بحق محمد عليه الصلاة والسلام .

وأهديكم سلاماً من الاقليم الجنوبى سلاماً صادراً من صميم قلبى المتلهف لرؤياكم التى تنسى القلوب وتزيل الكدب ولذا جئت بتسطير رسالتى هذه لتبلغكم تحياتى واشواقى الزائدة لكم . وبعد لم أستطع أن أصف لكم ماحصل عندى من الفرح عندما فوجئت لأول مرة بمجلتكم الكريمة فوجدتها كلها رسالة إيمان وإخلاص وعقيدة . حقا أنها رسالة من السماء رسالة حق وهى جاءت بالحق المنزل جاءت بالإيمان الصادر فى صميم القلب والله هى ذكرى لمن تذكر بالإيمان الصحيح يالها من فرحة كبرى على قلبى وبوجود هذه الأمنية التى ساقها الله لنا نعمة على يد أبطال صالحين جزاهم الله خير

الجزاء فوالله إن مجلتكم ملئت قلبي نوراً وجهاداً وعملا فتحا بعد فتح الله . ثم لانجاح لنا فى هذه الحياة لا إذا تخلقنا بالخلق الصوفى والروح الصوفى ونعيد عهد محمد وصحابته وأولياء الله الذين ساروا فى هذا الطريق. سدد الله خطاكم لهذه الأمنية لشعب الجمهورية العربية كلها وللشعب العربى المؤمن . وأعلمكم أن مجلتكم أصبحت ضمن قلوبنا نحن أفراد الجيش الأول وصرنا نتناقلها من فرد إلى فرد نخورين بهذه المجلة الكريمة .

ومن هنا فى الإقليم الشمالى وخاصة أفراد الجيش الأول إخوانى فى السلاح يهدوكم مزيد السلام ويتمنون لكم التقدم والنجاح والمزيد من رسالة الإيمان .

اللهم احفظ رئيسنا وقائدنا المفدى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر الذى حقق الخير ونشر السعادة والفرحة على قلوبنا بنجاح الأعمال كلها اللهم أنصره وأنصر الرجال المخلصين الذين يسعون لرفع راية الوطن عالية شماخة والله ربى يحفظكم .

نظرية الحب عند رابعة العدوية

للاستاذ فوزى عرفة

اختصت رابعة بعد توبتها بخصائص تجعلها متميزة عمن سبقها من الصوفية. كانت تدين بدين الحب فى التصوف: يروى لنا صاحب « الروض الفائق فى المواعظ والدقائق » ما يلى: « حكى عن رابعة العدوية رحمها الله تعالى أنها كانت إذا صلت العشاء قامت على سطح لها وشدت عليه درعها وخمارها ثم قالت: إلهى أنارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك، ثم تقبل على صلاتها فإذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت: إلهى! هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنأ أم رددتها على فأعزى؟ فوعزتك هذا دأبى ما أحييتنى وأعنتنى وعزتك لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك ».

وقد بدأ هذا الحب عندها حسيا لأنها لم ترزق بعد من صفاء النفس ورقة الفؤاد ما يجعلها تعرف كيف تخاطب معبودها. والأمر فى هذا يسير على تدرجه الطبيعى فهى إن كانت قد بارحت حياة العشق المادى إلا أن ذكرياتها تشدها إليها برباط — مهما يكن واهيا — إلا أن له تأثيره على نفسها. لا جرم بعد ذلك أن نلمس عندها هذه التمرينات الحسية. إلا أننا مع ذلك لا نوافق قول القائلين إنها « نذرت نفسها لهذا الحب الأسمى وعما قليل ستعلن خطبتها إليه ولعل ذلك أن يقضى فى النهاية إلى الزواج الروحى بينها وبين الله » (راجع ص ٢٦ شهيدة العشق الإلهى الدكتور عبد الرحمن بدوى) فذلك قول يقال فى العلاقات الجسدية بين الزوج وزوجه والعشيق ومعشوقته. ولكن حب رابعة لاريب قد لحقه تطور يسمو به من هذه المرحلة الحسية إلى آفاق الروح الرحبة التى تستشرف بوارق الجمال فإذا بها مأخوذة به متحيرة منه لا تكاد تستشعر تلك العلاقة الحسية التى تتم بين فرد وآخر وإنما تجد من نفسها شوقا إلى الفناء والشعور بالضعف والعجز ومن ثمة حكى صاحب « روض الرياحين فى حكايات الصالحين » عن خادمتها عبده بنت أبى شوال ما يلى « كانت رابعة تصلى

الليل كله فإذا طلع الفجر كنت أسمعها تقول إذا وثبت من مقعدها ذلك وهى فزعة : يا نفسى كم تنامين وإلى كم تقومين ! يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » وليس فى هذا النص شىء يستشف منه الحب الحسى وإنما يلاحظ عليه شدة اللهفة والخوف ولذعة الألم والحسرة وكثرة التهيب حتى يكاد يخالطه النحيب .

وعلى هذا يجمل بنا أن نبين خصائص الحب عند رابعة العدوية حتى تتضح نظريتها فى الحب الإلهى .

أولا : نرى أن رابعة العدوية أخذت الحب كمدخل إلى التصوف ، وهو شىء معقول بالنسبة إلى حياتها الماضية : حياة الملذات والشهوات فهى تأخذ هذا الحب كنسمة تتنسمها لتبحث فيها عن نفسها ذلك لأن جمالها كان قد اشتهر وتمكنها فى الفن كان قد ذاع . هذا فى الظاهر أمام الناس بينما كانت تعانى فى نفسها ذلك القلق الحزين الذى انتهى بها إلى قرارها فى التوبة والانابة فهى تنظر إلى الحب على أنه بديل لهذا الفراق الذى تستشعره عندما تقبل على هذا الحادث الجليل ، والدليل على ذلك هذه الرواية التى نجدها فى « روض الرياحين فى أخبار الصالحين لليافعى » فإنه يقول : « بعض الصالحين قال : خطر لى أن أزور رابعة العدوية رضى الله عنها وأنظر أصادقة هى فى دعواها أم كاذبة فبينما أنا كذلك وإذا بفقراء قد أقبلوا فسألتهم فقالوا : نحن من أبناء التجار فكنا عند رابعة العدوية فقلت كيف ذهبتم إليها ؟ قالوا كنا متهمين بالأكل والشرب فى بلدنا فنقل لنا حسن رابعة العدوية وحسن صوتها وقلنا : لابد أن نروح إليها ونسمع غناءها وننظر إلى حسنها فخرجنا من بلدنا إلى أن وصلنا إلى بلدها فوصفوا لنا بيتها وذكروا لنا أنها قد تابت فقال أحدنا : إن كان قد فاتنا من صوتها وغنائها فما يفوتنا منظرها وحسنها فغيرنا حليتنا ولبسنا لبس الفقراء وأتينا إلى بابها فطرقنا الباب فلم نشعر إلا وقد خرجت وتمرغت بين أقدامنا وقالت : لقد سعدت بزيارتكم لى فقلنا لها كيف ذلك قالت : عندنا امرأة عمياء منذ أربعين سنة فلما طرقتم الباب قالت : إلهى وسيدى بحرمة هؤلاء الأسياد الذين طرقوا الباب إلا ما رددت على بصرى فرد الله عليها بصرها فى الوقت قال : فعند ذلك نظرنا إلى بعض وقلنا : ترون لطف الله بنا لم يفضح سريرتنا فقال الذى أشار إلينا بلبس الفقراء والله لا عدت أقلع هذا اللباس من على وأنا تائب إلى الله عز وجل على يدى رابعة فقلناله : نحن وافقناك على المعصية ونحن أيضا نوافقك على الطاعة والتوبة فتبنا علنا على يديها وخرجنا عن أموالنا جميعا وصرنا فقراء » .

ولا يهمنا من هذه القصة سوى مغزاها ودلالتها فرابعة كانت قد اشتهرت بجمال جسدها وحسن صوتها ، وهذا الاشتهار جعل الناس يأتون إليها من كل فج ليتمتعوا بمنظرها الحسن وصوتها الخلاب الجذاب . ومن ثمة كان عليها أن تلقى هذه الفكرة من عقول من يأتون إليها وفى ذهنهم هذه المعانى السابقة ولا تلغيها إلا بأن تحيى فيهم المعانى النبيلة وتستحث منهم الجوانب الروحية وقد فعلت فى ذلك الشىء الكثير حتى استطاعت أن تصل إلى هدفها .

ثانياً : أن هذا الحب كان درجة من درجاتها إلى سلوك السبيل ، فلما أمعنت فى المدارج لم تهمل أصل توجيهها بل عمقته ووسعته فربطت بين الحب والعبادة ربطا جديدا محكما ، اقول رابعة متمثلة بهذين البيتين الجميلين :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وفى هذين البيتين تبدو مسحة منطقية مزجاة فى صورة عاطفية تبين أن الحب عند رابعة العدوية يتطلب أول ما يتطلب — حتى لا يتناقض مع نفسه — أمرين : أولهما الاقلاع عن المعاصى وثانيهما طاعة الله سبحانه وتعالى . وقد صدقت رابعة فى فهم الحب على هذا المعنى الجميل الجديد فالمحب ينبغى أن يوفى حبيبه قدره ويحفظ حدوده ويطيع أوامره ويتجنب نواهيه ومن هنا يصل الحب بالمؤمن إلى أن يتعمق القرآن ويفهمه ويستوحى السنة ويقوم عليها ويستلهم الأعمال الخالدة للتابعين المخلصين وكلما صفت عقيدة رابعة ازداد حبها صفاء وإخلاصا وكلما أمعنت فى العبادة وداومت التقرب خشيت ألا يكون تقربها مقبولا ولا عملها صالحا . وكانت تواصل سؤالها فتقول عندما يأتى النهار « إلهى ! هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنأ أم رددتها على فأعزى ؟ فوعزتك هذا دأبى ما أحييتنى وأعنتنى وعزتك لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك » .

هكذا كان الحب أول مدخل تدخل به رابعة إلى التصوف وآخر مدخل تدخل فيه إلى التذوق فهو الأول والآخر والبداية والنهاية والنبضة والرجفة والمحيا والممات وهو الذى دعاها إلى مواصلة التقرب إلى الحبيب بالصلاة والعبادة حتى أشفق عليها المشفقون . يصفها صاحب الطبقات الكبرى فيقول : كانت رضى الله عنها كثيرة

البكاء والحزن وكانت إذا سمعت ذكر النار غشى عليها زمانا وكانت تقول : استغفارنا يحتاج إلى استغفار وكانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول مالى حاجة بالدنيا وكانت بعد أن بلغت ثمانين سنة كأنها شن بال تكاد تسقط إذا مشت وكان كفنها ما زال موضوعا أمامها وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها وسمعت رضى الله عنها سفيان يقول : واحزناه فقالت له : واقلة حزناه ولو كنت حزينا ما هناك العيش ، وهكذا صح فى رابعة وصف ذوى الإيمان الساطع الذين « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون » .

ثالثا : أنها بدأت تنظر إلى الحب من جانبين : فجعلت حبا للهوى وحبا لذات الحب واعترفت بأنها تحب الله سبحانه وتعالى هذين الحبين فقالت :

أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهـــل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهـــل له ... فلست أرى الكون حتى أراكا
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وكان هذا التعبير الذى جعلها تفصل فى الحب لله بين نوعين : حب لأجل نعمه وأفضاله وحب لذات الألوهية نوعا من الاختصاص الذى وضح عند رابعة العدوية فجعلها صاحبة هذه الدعوة فى الحب والقوامة عليها حتى كاد الدارسون يجعلونها صاحبة هذه الدعوى ويحاولون أن يرجعوها من ثمة إلى جملة مصادر مسيحية أو هندية مهملين — لجورهم — خصائص الدعوة الاسلامية لهذا الموضوع .

رابعا : أن ذلك الحب الذى استشرفته رابعة وغطى عليها سمعها وبصرها لم يكن بفضل منها هى وإنما كان بفضل من الله ومنة وفى هذا نرى أن رابعة تخالف صوفية زمانها فى غلبة الهبة عليها لا الكسب وحسبنا أن نوضح هذه النقطة فيما يلى :

غلب على الصوفية فى عصر رابعة العدوية الزهد والخوف من الله سبحانه وتعالى وكان الحسن البصرى ممثلا لهذا الزهد الخائف وقد تبعه الكثيرون ممن رأوا فى إقبال المسلمين على الملذات نذيرا بالسوء فاعتصموا بالمساجد واعتزلوا العالم وخلوا إلى أنفسهم يحاسبونها حسابا عسيرا وأطالوا التأمل والتفكر فى هذا الكون البديع وأدركوا حقيقة وجودهم وتطلعوا إلى اليوم الذى يتخلصون فيه من هذا الامتحان والابتلاء الذى يعانونه فى الحياة الدنيا وقد رأوا أن الإنسان يستطيع أن يتجنب الشر وذلك بمجهوده الشخصى وبدأ به وعمله ، أما هذا الدأب وطول الممارسة فقد

يفضى الإنسان إلى نوع من المواجهة التى يهبها الله لعباده فجعلوا هذه المواهب مجلوبة بعد العبادة وكثرة التقوى .

أما رابعة فقد خالفتهم فى أنها جعلت بدايتها مبنية على المواهب لا المكاسب فالله سبحانه وتعالى هو الذى هداها وهو الذى وفقها لأن تدرك نعمه وتذوق أفضاله ومن ثمة قالت :

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وروى القشيرى فى رسالته : قال رجل لرابعة : إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى . فلو تبت هل يتوب على ؟ فقالت : لا ، بل لو تاب عليك لتبت ، فهى كانت لا تثق فى قدرتها على الظفر بالتوبة لمجرد استغفارها وإقلاعها عن الذنوب بل كان لابد لها من رضا الله أو بهبة منه سبحانه ولهذا كانت تقول : « أستغفر الله من قلة صدقى فى قولى . أستغفر الله » وكانت تقول : « استغفارنا يحتاج إلى استغفار لعدم الصدق فيه » وكانت تنشد :

كم بدت منة وكم لك عندى من عطاء ونعمة وأيادى
حبك الآن بغيتى ونعيمى وجلاء لعين قلبى الصادى
ليس لى عنك ما حييت براح أنت منى بمكن فى السواد
إن تكن راضيا على فإنى يا منى القلب قد بدا إسعادى

هكذا يمكن لنا أن نلخص خصائص الحب عند رابعة العدوية ، فقد كان مدخلا لتصوفها كما كان درجة من درجاتها إلى سلوك السبيل وفرقت فيه بين نوعين من الحب : حب الهوى والحب لذات الحب وأخيراً جاءها هذا الحب هبة من الله وفضلا لا كسبا واجتهادا ثم اختلط معها الحب بالعبادة واستذكار الموت وكثرة البكاء ولهذا لا يمكن لنا أن نجارى قول القائلين إن حب رابعة كان حباً حسياً أو أن محبوبها تخيلته شخصا فإن حبها تطور معها حتى أصبح يحمل معنى أشد عمقا وأكثر أصالة من مثل هذه الدائرة الضيقة التى يحاول البعض أن يدخلوه فيها ؟ .

ملاحظات وذكريات عن رحلة الحج

للأستاذ محمد محمود بحيح

شيخ الطريقة السطوحية

أما الملاحظات فلنبدأ منها بيثرب مدينة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام هذه المدينة التى نصرت الإسلام وفيها تأسست أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ المدينه التى يأرز إليها الإيمان كما تأرز الحية إلى جحرها . هذه المدينة آخر عهدى بها كان سنة ١٩٤٥ وعهدى بها كان الآن سنة ١٩٦١ وأشهد والله يشهد أنها هى بعينها لم تمتد إليها يد التخطيط والتجميل أو العمران إلا النزر اليسير ، طبعا الحرم النبوى لا شك اتسع اتساعا ضخما وعمارة فخمة وإنارة رائعة وما حول الحرم هو هو اللهم إلا منشأة بناها الملك المعظم سعود وحبسها لعمارة الحرم الشريف . وبعض المبانى حول الحرم مثل فندق المدينة وفندق بهاء الدين وفندق الصفا وفندق السلام . هذا عدا فندق التيسير وهو قديم . وإلا شارع المناخة حيث نظم وتزرع فى وسطه المزارع وقسم طريقين وما عدا ذلك فلا إنشاءات ولا تنظيمات كما هو الحال فى جده التى تبدلت وتغيرت وصحت والحق يقال أنها قطعة من ثغر الإسكندرية نظافة ونظاما وعمرانا . أما أهل المدينة فهم هم ثغورهم الضاحكة وسماحتهم الناطقة إلا بعض تجارها حيث نقلوا عن إخوانهم الجديين والمكيين الغلظة فى القول والتبزم لأقل مناقشة فى الأسعار . العناية بالنظافة والعمران فى المدينة يحتاج الكثير لقد شهدنا انفجارا فى مياه شارع البر إلى قرب الحرم النبوى ومكثنا الأيام والأيام والحال كما هو وتركناه ولم تمتد إليه يد للإصلاح .

أما بكة أو مكة أم القرى فالحال فيها تغير عما سبق العمران والنظام والنظافة وكل شىء يسير فى مكة إلى الأمام لانخفى أن زياده الحجيج تغطى تقدم المبانى ولا زال الحال كما كان فى سنة ١٩٤٥ بل زادت كثافة السكان حتى أنى رأيت ما يزيد عن الثلاثين حاجا يسكنون فى حجرة واحدة ويحمدون الله لأنها مزودة بمروحة كهربائية ويشكرون للمطوف رعايته وحسن وفادته فقلت فى نفسى إذا عند غيره مثلها منزلا لخمسين . مكة ينقصها المطاعم النظيفة المنظمة وينقصها الفنادق

الكثيرة لمن تضيق بهم بيوت المطوفين . الحرم المكى لاشك زاد زيادة هائلة وعندما تتم عمارته الجديدة سيتغير الحال بالنسبة لحجاج بيت الله الحرام . ففى جنباته وطبقاته سيكون متسعا للجميع .

أما عرفات . فحقا أنها أرض الغفران . وساحة رضاء الرحمن ، ومكان يضمر ويصفر فيه الشيطان . ولكن هى بحالتها الآن ساحه للميكروبات . وميدانا للقاذورات يحتاج إلى دورات مياه . ومظلات فى الطرقات خصوصا عندما يسمونه بالسبيل ، أى الأمكنة التى تقدم فيها المياه المثلجة مجانا هدية من الملك سعود .

وأشهد أن البعثات الطبية من سائر البلاد الإسلامية كانت كثيرة وفيرة وتقوم بواجبها خير قيام . كان لاينقطع سيرها ليل نهار . تجوب الشوارع بأبواقها وعلاماتها وكأنها فى ميدان قتال . هذه اللفتة من الدول الإسلامية كانت مثمرة مجدية نرجو دوامها وزيادتها فى الأعوام القادمة إن شاء الله .

ولى رجاء أتمنى أن تحققه الأيام وهو التفاهم التام بين جميع الممالك الإسلامية وبين المملكة السعودية على تمكين البعثات الثقافية والدينية من مهمتها وتأدية رسالتها أى يسمح لأفرادها أو ممثليها بإلقاء كلمات أو محاضرات فى الحرمين الشريفين فى كل ضحى وبعد صلاة العشاء وبعد صلاة العصر إن تيسر ذلك .

لقد تعرض غيرى من السادة الزملاء لمنى وما يصيب منى من لحوم الهدى وما ينجم عنه من مناظر تقشعر منها الأبدان . فلا داعى لدخولى فى هذا المقام .

أما ذكرياتى عن الحج فوالله مايشعر الإنسان بحقيقة نفسه وبمنزلته بين خلق الله . وبمدى ما يملك فى ملك الله . وبمدى احتياجه إلى رعاية ورضاء الله . مثل ما يشعر فى هذه البلاد المقدسة وأشهد أن الله يفيض على عباده جميعاً تقريباً بنعمة الرضاء والصبر والشكر . فترى الحاج فى أشق مرحلة وفى أقسى منزلة يخاطب أخاه (عقبال العودة) فيرد عليه بلهفة آمين . ثم ترى الإيثار يتجلى فى الغالب بين الحجاج وترى الرباط القلبى الذى لا تنفصم فيما بعد عراه . وترى المنظر البهيج الأكبر قبل عرفات حينما يجتمع الحجيج فى بيت الله الحرام وقد تباينت ألوانهم واختلفت لغاتهم وتعددت سماتهم لكنهم وحدة لاتتجزأ كلها متجهة إلى مكان واحد إلى الكعبة المشرفة إلى بيت الله الحرام .

هذا وأقدم شكرى إلى كل زميل غمرنى بفضل . أوخصنى بنبل . وأسأل المسامحة لكل أخ رأى منى مالم يعجبه فما فعلته عن قصد . وأسأل الله لى وللجميع القبول . والإحسان الموصول آمين .

الذكر الشرعى وآدابه

للأستاذ محمد على حسين الحداد

نظراً لأن عقائد التوحيد جمعت كلها فى قوله (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ونظراً لأن إخوانى أبناء الطرق يذكرونها فى حلقات الأذكار فإنى أهيب بهم وأحقهم على أن يراعوا ذكرها على صحتها وبأحكامها وأن يسيروا على الطريقة الشرعية التى أمرنا الله بها ورسوله وأن لا ينحرفوا عن جادة الحق وأن لا يبتدعوا فى حلقات الذكر تلك البدع المذمومة الآثمة مثل التصفيق والتمايل بالرقص وضرب المزمار والدف والباز وأمثال ذلك مما يخالف الأوامر الشرعية ...

ومن شروط صحة الذكر يجب أن تكون كلمة التوحيد ولفظ الجلالة خارجة من مخارجها الأصلية بالإلفاظ الواضحة وباللغة الفصحى من غير تحريف أو ابتداع . . .

جاء فى الشرح الصغير ص ٥٠١ لشيخنا الإمام الدردير رضى الله عنه فى الجزء الثانى يقول :

قال شيخنا الأمير فى رسالة فى ذلك إعلم أن جميع كلمة التوحيد مرققة ولا يفخم منها إلا لفظ الجلالة فقط ولا يجوز فى الأنصح نقص فى أداة النفى التى بعدها الهمزة عن حركتين وتجوز الزيادة إلى ست حركات وما بين ذلك واسع والحركة مقدار ضم الأصبع أو فتحه بحركة معتدلة وأما مد كلمة الجلالة فلا يجوز نقصه عن حركتين وهو المد الطبيعى وأما إذا أسكنت هاء الجلالة للوقف فتجوز الزيادة والمد ست حركات ويجوز التوسط .

وقد نهى العلماء عن الوقف على (لا إله) لما فيه من إيهام التعطيل بل يصلها بقوله (إلا الله) بسرعة وأن لا نفخم أداة النفى ولا يضم الشفتين عند النطق بها ولا تبدل الهمزة ولا يزيد مد (إله) عن المد الطبيعى .

وليحذر من مد همزة (الله) لئلا يصير استفهاما . وهذا واقع وكثير بل كثيرا ما نرى ونسمع أصواتا ساذجة وأفعالا خارجة وبدعا مكروهة اه .

أوردت كلام مشايخنا فى صحة الذكر ليعم نفعه ولنهتدى بهديهم ولنسير على طريق واضح بين لا عوج فيه ولا التواء .

الدين والحياة

للأستاذ حامد محمود الزفرى

وإذا كان موقفنا هو الالتزام بمقوماتنا التاريخية وتفاعلنا النامى مع المدنية وإيجاد مجتمع ذو أيد ولوجية هادفة وخطة إنسانية نامية متطورة فما أجدرنا أن ننظر على هدى ذلك إلى الجو الفكرى الموجه فى العالم العربى والإسلامى حيث إن وحدة القيم والهدف هى الحبل الذى نعتصم به جميعاً رغم الأحداث والخطوب . لا من قبيل التعصب أو رد الفعل للتيارات الأوربية ولكن لموجب رسالتنا وبمحض اختيارنا وشعورنا الواعى حيال الظروف والاحتياجات واستجابة لداعى الحرية والمسئولية معا . وهذا النظر الخاطف له من الأهمية فى الربط بين الاتجاه الإسلامى عامة والعربى خاصة وبين الاتجاه الثورى . حيث الاشتراك فى التراث والظروف مكان بارز فيما نحن بصدده . سيما وأن القاهرة هى مركز التجمعات التحررية والتراث الإسلامى والإشعاع الدينى الصاعد .

والحقيقة الراهنة الان والسؤال الذى يردده المثقفون غالباً هو : بماذا نحققق فى مجتمعنا السلوك الإسلامى ؟ أو بعبارة أخرى ماذا نفعل أمام المدنية والأساليب الحضارية إذا أردنا تحويل مجرى التيار البشرى فى بلاد الإسلام ؟ أنطوى الأساليب المدنية ونجرها إلى حوزة الأساليب القرآنية إذا صح أن ثمة تضاربا فى خطى السير لكليهما ؟ أم نجر الأخيرة ونتسع فى فهمها حتى نهضم هذا الجديد .

والواقع أن هذه الحيرة وذلك الترديد بين مجالين نرتبط بهما فى معترك الحياة . هذا الموقف هو الذى دفع بنا إلى أبسط مقامات البحث الذى سنكشف فيه عن ارتباط الدين بالحياة من حيث الإبداع الفكرى والخلق العلمى والاتجاه الفنى وتكوين الجماعة البشرية على أسس قويمة وسياسة حكيمة وغاية نبيلة على طول الخط التاريخى منذ وجدت البشرية حتى الآن وفى مختلف الأطوار والصور .

وإذا كنا نرتبط فى أساليب حياتنا المدنية . المادية والفكرية احيانا والسياسية كثيرا والاجتماعية فى الغالب . والاقتصادية بصورة أكبر بمنهج علمانى مشدود بمناهجنا

التربوية والتعليمية . فنحن فى موقفنا الذاتى والوجودى ، والاجتماعى أحيانا نرتبط بمعتقدات لها من التغلغل والعمق ، والتأثير والتوجيه ما لها . وهذه الإزدواجية فى الشخصية هى التى دفعت ببعض الدول إلى رفض المعتقد وإنكار وجوده فى الخبر الاجتماعى وإن لم تكن بقادرة على استئصاله من القلوب كتركيا مثلا وببعض الأفراد وأعدادهم غفيرة إلى نفس هذا الموقف وبصورة إيجابية فى جانب النفى والهدم سيما من رحل منهم إلى أوربا وأمريكا أو تشرب مبادىء الماركسية .

والحقيقة أن العالم الإسلامى فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين وبعد أن دهمته خطوب الاستعمار والاستغلال الأوربى ، وبعد أن ألغيت الخلافة سنة ١٩٢٤ ، وبعد أن أضرم الاستعمار نار العداوة بين سكان العالم الإسلامى كله بل بين سكان البلد الواحد كمصر والهند و . . . إلخ وقام بدور خطير لكى يعمل على تلاشى الوحدة المنهجيه السلوكية لبلاد الإسلام ولكى يبقى الصعيد التوجيهى لهذه الشعوب المغلوبة على أمرها فى يده لهذا ولغيره قام بدور إحياء العصبيات الأممية التى جاءت لنا فيما جاء مع الاستعمار والمدنية فقد كنا نسمع قبل قيام الثورة العربية الكبرى فى ٢٣ يوليو من ينادى بالفرعونية أو الفارسية فى بلاد إيران . و : . الخ ولعل تعليل ظهور هذه النزعات بظهور الكشوف الأثرية لايستقيم والحقيقة الواقعية .

وقد ساءت الحياة الفكرية الموجهة فى بلاد الإسلام سيرا متعرجا وغير عميق مما كان له أثر مهم فى دفع الطليعة من أبناء هذه الشعوب للنظر فى الأمر جديا واتخاذ موقف حاسم . ففى الهند — أبناء السيد أحمد خان يقوم بإنشاء كلية عليكرة متخذا خطة الدراسة الإسلامية التى لا تصطدم مع الأساليب المعاصرة وهو بهذا الموقف قد قام بدور عظيم .

وفى مجال السياسة التجمعية لبلاد الإسلام وشعوبه فقد عقدت عدة مؤتمرات فى النصف الأول من هذا القرن فى القاهرة ومكة والقدس إرادة التعاون أدبيا وماديا على اتخاذ موقف حازم بالنسبة للاستعمار ودهاء ومكر الصهيونية الفاجرة وتعديل الاتجاه لمجتمعهم نحو القيم والمثل التى تظلهم ،

وإذا كانت هذه البذور قد نبتت وأورقت اليوم وحققت ربحا كبيراً بالنسبة لموقفنا العالمى الآن ، وعملت على ايجاد جو تحررى لبقية الشعوب المستعمرة . ثم خلق أو المشاركة فى خلق كتلة ثالثة تخفف من حدة التوتر العالمى أكثر مما حققته ومنظمة عالمية .

وإذا كان مركز الأمة الإسلامية فى الميزان العالمى من الثقل والترجيح قدر كبير ولا سيما بعد أن تمتعت أكثر شعوبه بالاستقلال وحرية التوجيه .

وإذا كان مركز الاشعاع فيه (القاهرة) قد تقدم بخطى واسعة نحو الانسانية النبيلة ، وهو قد أخذ بالفعل على عاتقه حماية هذه القيم وحل الترديد الذى أسلفناه ، وفى نفس الوقت قام بالعمل على وصل الشعوب الإفريقية والآسيوية واشتراكها فى العمل على تنمية هذه المعانى الشريفة وإطلاعها على خططه ونيته وآماله حيال القضايا المعاصرة والشعوب الاسلامية بتوجيه المؤتمر الاسلامى . هذا الاندفاع القوى من الاشعاع مع تجديده فى طريقة التفكير الدينى وتنظيم الأزهر وتطويره . مع ملاحظة أن هذا العهد العتيق والمنارة التليدة ليست هى جامعة مصرية أو عربية . بل مركز الثقافة والاشعاع الاسلامى وميراث أبناء الإسلام أولا ومحطة الانطلاق الدينى للعالم كله ثانيا ومنارة الهداية ومحطه الرحال لكل قاصد أخيرا ،

وقد لا نكون مغالين فى التفاؤل أمام هذا التطوير إذا التزمت فيه الدراسة سير البحث الدينى . دراسة القرآن الكريم والعربية والفقه والفلسفة والتاريخ والحديث . دراسة عميقة ومستمرة مع دراسة العلوم المفيدة بالنسبة لفلسفتنا التربوية المنتجة إننا بهذا التعميق للدراسة الأزهرية . ولا أقول التخفيف والسطحية نكون قدخطونا خطوة كبرى ووثبنا وثبة عظمى نحو المثل الانسانيه لحل قضايا العصر الشائكة فى العلم والدين والمدنية ، والأمن والحرية ، والسلام والتقدمية . ونكون فى نفس الوقت قد قربنا المسافة الزمنية للتجميع الدينى لشعوب الاسلام وأقنا صرح القومية العربية على أساس متين من المثل والاهداف ونكون قد عمقنا مجرى الثورة من الصعيد إلى القاع فى نفس الفرد والجماعة والانسانية . فما ثورتنا إلا جزء كبير من الثورة العالمية الكبرى التى هزت العمق الانسانى فى هذا العصر . ونحن حيال ذلك كله لانرى للثورة إلا وجها بارزاً مشرقا هو تعبير عن آمال المسلمين والانسانيين وتطورا هائلا فى نفس الخط الثورى .

وعلى أية حال فإن خطة الربط التاريخى والانسانى بين طريقة التنظيم الدينى لاستجابة الانسان للحياة وتعديل قوى الفرد وتوجيه طاقاته وكذلك المجتمع والانسانية فى حدود الإمكانيات المتطورة والقوى الثائرة وبين القطاع الزمنى والثقافى والاجتماعى لدول الإسلام وشعوبه وبلاد القومية العربية . هذه الخطة التى اعتزمنا السير عليها من أول مقال . إذ أن موضوعنا الدين والحياة هو بيان هذه القضايا

والكشف عن حيثياتها . ثم إن الثورة كما نفهم ليست لمصر والعروبة فقط حتى يكون الحديث جزئيا ، ولما كانت الثورة جهودا لجوع بشرية وأفكار وأحداث تاريخية وهى نفسها المكان الزمنى الذى سيتم فيه تمدد المجتمع العربى والإسلامى بكل طاقاته وقواه . ويمكن أن يتم فيه ومن دائرته التوجيه القيم للفرد والإنسانية وفى حدود القوى الاندفاعية فى خط الأمان بين الاشتراكية والرأسمالية .

وإن المبررات والعوامل والاحتياجات وضرورة العصر لتدعو أبناء هذا الجيل فى صراحة وقوة إلى حمل المشاعل وإنارة السبيل ووضع النقط على الحروف ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون والأجيال والتاريخ ثم توضعون فى الميزان فتثقل أعمالكم وتسجل جهودكم وتكونون فى عداد الخالدين بناة الحضارات والمدنيات ؟

يتبع

حب الأولياء

قال رجل لأبى يزيد البسطامى رضى الله عنه : دلنى على عمل أتقرب به إلى الله . فقال له :

أحبب أولياء الله يحبوك ، فإن الله ينظر فى قلوبهم إلى اسمك فيغفر لك بحبهم .

آداب الطريق

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

الأستاذ بدار المعلمات بالزمالك

(٥)

وهذه المثالية النادرة . أين منها ما نراه الآن من دواعى التفكك والتخاذل بين أصحاب المجتمع الحديث . الذين لا يراعون حرمة الجوار والقرابة والأخوة الإسلامية والوطنية والإنسانية ؟ . إن البيت الواحد يضم المأتم والعرس فى ليلة واحدة . إن الأعياد والمواسم تأتى وتذهب دون أن يجتمع شمل كثير من الأقرباء والأصدقاء فى جلسة واحدة ، تجدد الود ، وتمحو مساءة الأيام .

إن الأخوة الصادقة لا نجدها اليوم إلا بين أفراد وصلوا حياتهم بإحدى الطرق التى وحدت غايتهم ومشاعرهم ، وألفت بين قلوبهم ، فآثر الأخ منهم أخاه على روحه وجدد بذلك معالم الإسلام الأولى التى جمعت بين المكى والمدنى فى آية من أروع الآيات لا تزال تتلى ويتعبد بتلاوتها « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم » .

والصوفى رجل باذل حقا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ؛ لأنه يرى أن توكله على الله وحياءه منه يمنعانه من الشح . وبهذا أصبح ذا مروءة نادرة تستدعى بذل النفس عند الحاجة ، وهو غير ضنين بها على أخيه فى الله أو على نصرة الحق والوطن ، وهذه الصفة خليقة بأن تكون أساساً من أسس المجتمع القوى المتماسك الذى يسعى أفراده فى سبيل إسعاد مجموعه ، ولا يضن أحدهم بنفس أو نفيس فى العمل على رفعة شأنه .

ولا يفهم هذا الفهم العالى إلا رجل وضع اعتبار القيم الروحية فوق كل اعتبار ورأى أن شخصه وهو فرد لا قيمة له بجوار هذه المجموعة التى يجب أن تكون لها السيادة والعزة والكرامة ، فسعادته من سعادتها ، وعزته من عزتها ، وكرامته مستمدة من كرامتها ، وتلك أبسط المبادىء التى يدين بها الصوفى . ألسنا نراه يؤثر الفقر على الغنى ، والخمول على الشهرة والتبعية على القيادة إن رأى فى ذلك وجه أن الخير للوطن والنفع للمجموع ؟ . لا يقال ذلك سقوط همة أو عدم طموح . كلا ، ولكنه زهد فى المظاهر ، وإيثار منه ، وتضحية بالشهوة ، واقتناع بأن العمل والجهاد ليس وقفاً على الرئيس دون المرءوس ، أو السيد دون المسود ، ولكنه أمر مطلوب من كليهما ، وعلى كل منهما واجب يؤديه بإخلاص ، وأداء الواجب بإخلاص متعة وما بعدها متعة .

فأين هذه المثل الكريمة مما نراه الآن فى مجتمعنا من صراع على المناصب ، واستهانة بالواجبات ، ودس رخيص للزملاء فى سبيل الصعود على أكتافهم ، حتى نشأت طبقة « الوصوليين » الذين لا عمل لهم إلا التقرب للرؤساء ، والتملق لهم ، والتخلق أمامهم بما ليس فيهم ، طمعاً فى كسب مادى أو أدبى ؟ .

وقد بدأت ولله الحمد تتنبه لهم أعين المسئولين ، بعد أن أدركت الخطر الناجم عنهم وحاولت التخلص منهم ، والقضاء عليهم .

أين هذا التسامح الكريم والبذل الصادق والمروءة والإخلاص ، الذى نراه بين طائفة الصوفية ، مما يسود الآن بين دعاة الانتهازية والأنانية الذين لاهم لهم إلا النفع الخاص ، واغتصاب « لقمة العيش » من أفواه إخوانهم المواطنين ، ولقد تغلغل هذا الداء الوبيل بين مختلف الطوائف ، فلم يسلم منه التجار فى الأسواق ولا الموظفون فى المكاتب ، وليس من الغريب أن نقرأ فى الصحف عن احتكار سلعة ، أو غش صنف أو حادثة رشوة أو غير ذلك ، مما يهدد كيان الأخلاق فى الصميم ، ويدفع عجلة التقدم إلى الوراء ، ويعرقل سير النهضة الحديثة التى أذن الله أن يشرق نورها فيعم الآفاق . ورغم أن الدولة قد وضعت من القوانين الرادعة ، ما يكفل لأمثال هؤلاء أن يرتدعوا عن غيهم ، إلا أن الضمير الميت لا يزال مركباً فى بعض النفوس فيوحى إلى صاحبه الاستهتار بالقيم وعدم المبالاة بالأخلاق ، ويجعله يعيش فى دوامة من الغرور والغفلة . حتى يفتضح أمره ، ويقضى على كيده وشره .

والصوفية من علماء المجتمع قديما وحديثا ، ولو أننا تصفحنا ما كتب الشعرانى

فى القرن العاشر لوجدنا آيات بينات ، ونظرات نافذات فى نقد المجتمع وتوجيهه ، والأخذ بيده إلى مدارج الرقى والكمال .

ولو أننا نظرنا إلى التصوف نظرة منصفة مجردة من كل العوامل الشخصية ، لرأينا من المتصوفة رجال إصلاح وجهاد وعمل ، وكثير منهم لقى مصرعه شهيداً فى سبيل الله والوطن ، وحسبك دليلا على ذلك شجاعتهم الأدبية ، التى تفردوا بها ، فلم يأبهوا بسيوف السلاطين والحكام ، حين تعرضوا لهم ينصحونهم ويوجهونهم ويقومونهم ، وينتقدون أعمالهم ، وهذا رجل منهم يعترض سليمان بن عبد الملك فيقول له : « سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى . إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، . . الخ ما قال ، ولو تتبعنا أخبار الفضيل بن عياض ، وأبى حازم ، وبنان الحمال ، والحسن البصرى ، وابن السماك ، وابن عبيد ، والأوزاعى ، وغيرهم من متقدمى الصوفية والأجلاء لرأينا مواقف عجيبة فى تذكيرهم الخلفاء والأمراء ، وما ذلك إلا لأنهم يعتبرون أنفسهم مسئولين عن تذكير الملوك رغبة فى إصلاح شأن الرعية وإصلاح المجتمع .

والتاريخ يحدثنا عن ابى الحسن الشاذلى . . . رضى الله عنه — الذى لم يمنعه كف بصره عن الاشتراك فى صد الحروب الصليبية معبئا النفوس والأرواح ، مذكراً بالشهادة ، مذكيا للقومية ، ملبيا داعى الله والوطن .

ونحن نعتبر الزعيم أحمد عرابى من أبطال الصوفية . الذى لم يعجبه الظلم الواقع على كاهل إخوانه المواطنين ، فهب يدافع عن حقوقهم ، ويعلنها ثورة عاتية ضد رجال القصر ومعضديهم .

وفى عصرنا هذا تطور التصوف تطوراً كبيراً ، واتجهت العناية إلى تطهير صفوفه من أدعيائه الذين أساءوا إليه إساءة بالغة ، وكان الضرر العائد عليه منهم أشد بكثير من الضرر العائد عليه من خصومه الظاهرين . فهم قد أضافوا إليه باسم الدعوى الكاذبة كثيراً من الجمود والضعف والتخلف والرياء والاستغلال وادعاء الولاية والشعوذة . والتصوف من كل ذلك براء . فما هو إلا اليقين الصادق ، والخلق الكامل والتمسك بالشريعة الناصعة ، والبعد عن مواطن الشبهات والذال .

ولذلك لا يجد الإنسان غضاضة الآن فى أن ينتسب إلى التصوف ، بعد أن كان

يأنف منه فى العهود الماضية ، لأنه قد انتقل كما قال — أحد الأدباء — من صفوف أصحاب اللحى الكبيرة ، والمسابح والملابس الحمراء والخضراء ، إلى صفوف الكبراء والوزراء ، لأن الطبقة المثقفة قد عرفت قيمته وأدركت ثمرته وعرفت أن الخير كل الخير فى هذه الاتجاهات الصوفية التى تنقل الإنسان من كدورة المادة إلى صفاء الروح وأنه لاخلاص للإنسانية من هذه الموجات المتضاربة ، والشهوات المتصارعة ، والمذاهب المتناقضة ، والآراء المغرضة التى تمليها النفوس الموبوءة بشتى الأدواء والأمراض إلا باللجوء إلى هذا الفضاء الروحانى المعمور بالمثل الكريمة ، والقيم الأخلاقية السامية ، والذى يهدف إلى خلق مدينة فاضلة ، لا مكان فيها للتصارع والأطماع والأحقاد والمشاكل النفسية والاجتماعية المعقدة ؟

للحديث بقية بتوفيق الله تعالى

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

حديث العبقرية

بين علم النفس وعلم الاجتماع

للاستاذ مصطفى طه شكيبانه

العبقرية فى علم النفس . . . :

يقيس علم النفس العبقرية بمقياس موضوعى دقيق — غير مقياس علم الاجتماع — الذى رأيناه آنفاً فليس الأمر للمجتمع ، وإنما هو فى أعماق النفس ، والقدرة على التصرف وإدراك العلاقات وتلك قدرة نفسية ، على أنه يتدخل فى صنعها عاملان أساسيان هما الوراثة والبيئة فالانسان يرث صفات خاصة لا دخل للمجتمع فى غرسها أو وجودها ، ثم تتفاعل معها صفات يتشربها من المجتمع المحيط به ، وفى قمة ما يرث الإنسان الذكاء . . .

ولقد حاولوا وصفه فى تعريفات شتى ، لعل أقربها : أنه القدرة على التصرف فى المواقف الجديدة تصرفاً رشيداً ، مع فهم العلاقات بين الظروف الجديدة والخبرات القديمة .

والناس فى ذلك مستويات شتى تنحط من المستوى العادى لعامة الناس حتى تصل لدرجة الجنون ، فى عدد يسير من المجتمع لايتجاوز ٥ ٪ ، كما يرتفع مستوى الذكاء إلى آفاق الحكمة والعبقرية فى عدد يسير أيضاً لايكاد يتجاوز ٥ ٪ .

ومن رحمة الله بالناس أن المستوى العادى يشمل أغلبية المجتمع فيما يقرب من ٤٠ ٪ من الناس ، فى حين نرى الأغبياء وضعاف العقول يمثلون ٢٥ ٪ تقريباً ، وفى مقابلتهم نرى الأذكياء والممتازين بمثل تلك النسبة أى ٢٥ ٪ .

فكأنما جعل الله الأغبياء فى عنق الأذكياء ، والحق فى ذمة العباقرة وإن كان المجتمع كله فى رعاية ما يبتكره العباقرة ويلهمون به من مظاهر الحضارة والرفاهية . حكمة بالغة لمن راد أن يذكر أو أراد شكوراً...

وقد وضع علماء النفس مقاييس تكشف عن القدرات المختلفة فى عقلية الناس ، وإن لم تكن بالغة الدقة على أننا نستطيع بفطرتنا أن نميز بين الأذكياء والمجانين والأغبياء فى حياتنا العامة بسهولة وقلما نشاهد عبقريا ، فهذا تلميذ ذكى فى إجاباته وتصرفاته التى يخلص بها نفسه من المأزق وهذا إنسان ألمعى يقوم بعمله فى مهارة ودقة ويحسن إدارة أعمال مختلفة ، وهذا عبقرى لأنه توصل إلى إدراك علاقات مجردة فى قوانين الحياة أو المجتمع أو المعرفة العليا لهندسة الكون ، أو ابتكاره تصميما رائعاً لجهاز أو أداة جديدة ... وهكذا ...

وهم حينما حاولوا قياس قدرات السابقين العقلية ، وقد مضوا فى ذمة التاريخ ، راحوا يدرسون سيرة هؤلاء الأعلام ليعرفوا كيف تصرفوا فى مشكلاتهم ، وكيف خرجوا على مجتمعاتهم بجديد فى العلوم والفنون والإصلاحات ، فإنه ليس من المهم إدراك الحسن بل تميز الأحسن ، وليس الشأن أن تعدل وضعا كما أن تكون أنت المبتكر الأول لهذا التصميم ، ولذلك سلكوا فى نظام العبقرية عديدين فى مختلف شئون الحياة ...

ذلك هو المقياس .. فأين مكانته فى التعرف على الشخصية المحمدية الكريمة ؟ .

إننا نستطيع أن نقول فى يقين أنه مقياس قاصر فى التعرف على الذات المحمدية فيما أبدعت ، وصنعت ، وأنتجت ، وقدمت من خير وحكمة للإنسانية .

ففيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو — عمالقة الفلسفة الإغريقية ، والنظرة الفلسفية فى الوجود وأمثالهم أصحاب نظرات واعية فى الفلسفة على مر العصور ... ولكن هؤلاء وهؤلاء قلما تجد لهم امتيازاً فى غير هذا المجال الفلسفى ...

ونابليون وروميل ومونتجمرى ، وهانيبال وهولاكو وتيمورلنك وجنكيزخان وخالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيد وعمر بن العاص وطارق بن زياد ... عباقرة فى قيادة الجيوش ورسم الخطط الحربية ، وفلسفة الدهاء العسكرى والسياسى ، ولكنك قلما تجد لهم امتيازات فى غير هذا المجال .

وباستير ومدام كورى ورونتجن وفليمنج كانوا عباقرة فى كشوفهم الكيميائية والطبية ، والبيرونى وابن الهيثم والخوارزمى ، وكوبرنيقوس وجاليليو ونيوتن وأينشتين عباقرة فى البحوث الرياضية والفلكية والضوئية وعلوم الطاقة والجاذبية .. ثم بوذا وزرادشت وكونفشيوس وحمورابى وإخناتون ، وكسرى أنوشروان

الملك العادل ، وأوناس الحكيم ، وغيرهم وغيرهم زعماء فى الإصلاح والحكم والفقه الكريم لقضايا المجتمع والحياة . ...

ثم الأنبياء جميعا وزعماؤهم الكبار ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم الصلاة والسلام كل هؤلاء وغيرهم أربى عليهم جميعا محمد الكريم فى شخصيته ورسالته ونظراته فى الوجود وحكمته البالغة فى قيادة المجتمعات ، ورسم خطط الإصلاح ، وإرساء قواعد حكمة عالية لفهم مشكلات الحياة والمجتمع ...

ولقد قال أحد المستشرقين : لو لم يكن لمحمد معجزة إلا أنه صنع أمة من البدو فجعلها أمة كبرى فى التاريخ لكفته معجزة فى العالمين ، وقال غيره : لو أن كتاب محمد وجد فى صحراء لكان الذى يعثر عليه جديراً بالخلود ، ولو جاء من عنده لكان جديراً أن تدين له الإنسانية بالولاء فرسالته — فى قرآن كريم أو حديث شريف — حكمة بالغة فى الحياة أحاطت بالمادة والروح وأعطت صورة سكون فى ارضه وسمائه ، وصورة للوجود بدئه ومختتمه ، وأملا عاليا فى الخلود فى طاقات عليا بعد جمود المادة واضطرابها ، ثم تحدثت عن الخالق الأعظم فى أروع صورة للواحد الأحد الفرد الصمد لم يسبق إليها فى فلسفة أو كتاب بهذه الصورة الجامعة الكاملة ...

فإن قيل : إن القرآن الكريم — ليس من صنعه بل هو رسالة الله إليه — قلنا إنه المختار دون العالمين له ، فهو رسالته للعالمين ، وهو المصطفى لتبليغه وشرحه وقيادة الوجود : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » .

وإن قال غير المسلمين — إنه قرآن محمد — كان ذلك أجدر بالاتباع والنظر فى رسالته فهو بهذا يمثل عبقرية فى حكمة البلاغة — وفهم الوجود وسياسة العالم لا نظير لها — كما شهد بذلك منصفون كثيرون من أنحاء العالم من المستشرقين — وإن نظرة واعية فيه ستقنع المنصف بأنه ما كان لإنسان عظيم يجىء يمثل هذا أن يدعى الرسالة ويفترى على الحق الأعظم ...

فلو قد أراد الجاه والمال والسيادة والملك بدعوته — لقد بذلها العرب إليه فى سخاء وتقدير . ولو لم يكن مؤيداً بقوى قاهرة من فوق السماء لتخطفته السيوف ولقضت على عصابته الألوف العديدة التى أحاطت بهم فى كل معركة ومجال ...

على أنه يحمل مع القرآن كتاباً آخر هو حكمته العليا فى حديث رائع يشرح القرآن أو عمله الإصلاحى الذى يطبق به قواعده . ويرسى به قوانينه فى الحياة .

فقد قال : أوتيت الكتاب ومثله معه ، أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه ... وقال التاريخ صدق وبر ...

ولقد قال : أنا نبي الرحمة ، بعثت لكل أبيض وأسود . بعثت للناس كافة ... وقال التاريخ ، وقالت دعوته ورسالته وشخصيته : هكذا قد كان ...

ونحن بتوفيق الله تعالى — لا نلقى القول على عواهنه — بل نسوق للمنصفين البراهين فلنتلبسها معا فى معترك الحياة التى خاضها المصطفى الكريم وفى رسالته ...

بين التربية وعلم النفس :

علم التربية والتعليم وثيق الصلة بعلم النفس ، وأصول علم النفس الاجتماعى . فعلم التربية كالنتيجة بالنسبة لعلم النفس يستمد منه أصوله فى رعاية النشء وتوجيه الجماهير للخير والحق ، ونشر المبادىء الكريمة وحمل المجتمعات عليها فى رفق وإقناع ، فلا شىء كالعمل بعد الاقتناع ، ولا اضطراب كحمل الناس على مالا يحبون أو لا يقتنعون به . . .

ومن الأصول المقررة فى علم النفس والتربية اختلاف الناس فى القدرات العقلية ، ومن ثم وجب على المربى مراعاة ذلك فى تربيتهم ، ومنها أن التربية الناجحة ما تمت بالإقناع ، وبالتفاعل الحى بين المربى والتلميذ بحيث يندفع برغبة أكيدة نحو العمل فيسأل ويناقش ويقتنع قبل اعتناق فكرة ما ، ومنها أنه ينبغى أن يعقد المربى صداقة بينه وبين التلميذ فيرتاح إليه ويقبل بشوق نحو تلقى المعرفة منه ، ومنها إثارة الأفكار ، وتهيئة الأذهان قبل عملية التعليم حتى يشعر المتعلم بحاجة أكيدة نحو ما هو بسبيله ، ومنها عدم مجاراة التلميذ فى خطأ ؛ وعدم مجابهته به على أنه جريمة ، فإن ترك النفس على ما ألفت تعود قد يطبع عادة ، ومجابهة النفس بالخطأ يملؤها بالحقد والكراهية لعملية التعلم والمربى ، ومتى حدثت الجفوة بينهما كان من العسير الإفادة والإقناع ، ومنها أن تربية الجماهير وقيادتها غير تربية الأفراد وإقناعهم ، فعلى المربى تقدير كل مقام بما ينبغى له من خطة وتدبير وبيان . . .

فأين هذا كله فى حياة مربى النفس وأستاذ الإنسانية الأكرم محمد ﷺ :

١ — فأما الفروق الفردية ومراعاتها : فهو يعلن أن ذلك سياسة الأنبياء جميعا لأنهم حكماء الإنسانية الكرام — يقول : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم » . وتطبيقا لذلك جاءه الكثيرون يسألونه بأسئلة واحدة

أو متقاربة فيعطيهم إجابات متفاوتة ولكنها — فى الحقيقة — العلاج الوحيد لمشكلاتهم ، فقد ورد أنه سأله أفراد بأن يوصيهم بعمل يدخلهم الجنة ، ويباعدهم من النار فكانت إجابته لبعضهم : لا تغضب ، ولآخر أن تموت ولسانك رطب بذكر الله ، ولآخر: لا تعق والديك ، ولآخر: قل آمنت بالله ثم استقم ، ونظير ذلك كثير، وكان يكلف الصحابة كلا وما يحسن من الاعمال ، فيجعل للصلاة أبا بكر ، وللقيادة علياً أو خالداً أو زيد بن حارثة ، أو أسامة بن زيد وهكذا ، ويجعل للتربية والتعليم معاذ بن جبل ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس وهكذا . . .

٢ — تهيئة الأذهان : والمعروف عن سيرته أنه كان يتحين الفرص للتعليم ، فقد روى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة » . وتقول السيدة عائشة : (ما كان رسول الله يهذر فى كلامه كأحدكم ، وإنما يتحدث بكلمات يعيها السامع فى وضوح وبيان (ما معناه) وكان يقول : « ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من قبلكم لكثرة اختلافهم على أنبيائهم ومساءلتهم » . فهو لا يتحدث إلا إذا استدعى الأمر أو حدثت مشكلة ما تتعلق بها قلوب الأفراد أو الجماعة ليكون الحل والجواب حاسما يتعمق نفوسهم ، والمعروف أن القرآن الكريم كذلك كان ينزل منجما بحسب الحوادث فيكون أدعى للقبول وأيسر فى العمل والحفظ وأهدى سبيلا...

٣ — التربية بالصداقة : ولم يعرف عن جماعة أحبوا قائدهم وإمامهم كما عرف عن أصحاب الرسول الكريم — كباراً وصغاراً — فبنو إسرائيل أنقذهم موسى من فرعون وعمله واختط لهم سبيل الكرامة فى الحياة ، ومع ذلك كانوا أول الخارجين عليه فى مجموعهم ، وحواريو عيسى عليه السلام (على قلتهم) كان منهم يهوذا الذى دل عليه لتناله يد الحاكم بالبطش والإيذاء . . .

أما محمد الكريم فكان مع أصحابه الإمام والصديق فأحبوه فوق أنفسهم وأهليهم هذا واحد يحاط بالسيوف من كل جانب ثم يقال له : أتحب أن محمداً فى مكانك هذا وأنت آمن فى سربك ؟ ! قال : والله ما أحب انه فى مكانه الذى هو فيه تشوكه شوكة . . .

وهو يربيهم بالكلمة واللحظة ، والمشاركة فلا يتفاضل عنهم — يتواضع للكبير والصغير والمرأة فيضع الصغير يده فى يده فما يسحبها منه أولا وتقفه المرأة فى الطريق لتسأله فما يمشى حتى تمشى ، ويؤنس السائل حتى لا يظن أنه فى حضرة إنسان الوجود ،

ويقول : لمن ارتعد عند رؤيته . . . لا ترع إنما أنا ابن امرأة فى مكة كانت تأكل القديد ، ويقف له الصحابة إجلالا فيذهب عنهم التكلف ويقول : لا تفعلوا معى كما تفعل الأعاجم لملوكها ، إنما أنا بشر مثلكم ، وينطلق مع أصحابه فيحضر وقت الطعام فيقول قائل على ذبح هذه الشاة ويقول آخر ، وعلى سلخها ، وآخر على طبخها ، فيقول فى تواضع جم ، وعلى جمع الحطب . . .

فيقولون : كلنا نكفيك هذا يا رسول الله ؟ . فيقول : لا ، إنى لا أحب أن أتميز عليكم ويمضى مع أبى هريرة إلى السوق فيشترى ثوبا فيريد أن يحمله عنه فيرفض قائلا : صاحب الشىء أحق بحمله تعليما للقادة فى كل جيل . . . ويمضى معهم فى غزوة بدر ليقتسم فى الركوب جملا مع على بن أبى طالب ومرتد بن أبى مرتد ، وكلاهما يقول : خذ نوبتى يا رسول الله فى الركوب فيقول : لا . . ما أنتم بأحوج إلى الثواب منى ، وما أنا بمستغن عن الثواب عنكم ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة ... ويجلس وسطهم كواحد منهم فلا يشير عليهم بشىء حتى يقولوا لو صنفنا لك دكانا (مصطبة) لتجلس عليها حتى يعرفك الزائر دون مسألة ، فما يشير عليهم بذلك حتى فعلوه هم ، ويخطب على جذع شجرة حتى يقترحوا صنع منبر ، ويمضى فى حاجة الصغير والكبير حتى يقضيها له بنفسه ، ويشترك فى بيته مع أهله فى حاجتهم معلنا : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » .

ويقوم بشأن نفسه فيرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته ، ويأتيه مشرك وقد صمم على قتله فأخذيسبه ويلعنه والرسول يبتسم له فما يرد عليه فينزع بهذه الابتسامة حقده فيجلس إليه ليعلن إسلامه ، ويقول : والله يا رسول الله لقد جئتك وما على وجه الأرض أبغض إلى صدرى منك ، والآن أعود ، وما على وجه الأرض أحب إلى نفسى منك .

وتعود يهودى — جاره — أن يضع له الأشواك والأحجار فى طريقه كل صباح ، ثم تخلف عن ذلك يوماً وثانيا فلما كان الثالث سأل عنه . . فقال أصحابه : أتسأل عنه وهو يهودى فقال : أليس جاراً لنا ؟ . قالوا : إنه مريض . فقال : إذاً وجبت زيارته ، فقالوا : أتعوده وهو يؤذيك يا رسول الله ؟ . قال : إن له علينا حق الجوار . . هيا بنا لزيارته . . فما أن يستقر من المقام عنده حتى تعجب اليهودى قائلا : ما هذا يا أبا القاسم . . أو دينك يأمرك بهذا ؟ . قال : نعم وأكثر منه . . يأمرنى أن أصل من قطعنى ، وأعطى من حرمنى ، وأحسن إلى من أساء إلى . . » .

فيكون ذلك سبب إسلام اليهودى .

أجل هكذا كان المربى الأكبر الذى صنع النفوس بعواطفها النبيلة ، والعقول بأفكارها الواعية ، والقلوب بيقينها الراسخ . . . فهكذا صنعه الله العظيم :

« أدبنى ربى فأحسن تأديبى » . . « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » . « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وكم من مرة دعا إلى الرفق فما دخل فى شىء إلا زانه ، وما خلا من شىء إلا شانه — كما يقول لعائشة . .

٤ — حل المشكلات بالإقناع والتربية بالحكمة : ومما يتصل بالتربية بالصداقة أن يعمد المربى إلى الفكرة فيصوغها فى أسلوب واضح يضرب له الأمثلة أو يضعه فى نطاق التطبيق حتى يقتنع بالأمر صاحب الحاجة . . وله فى ذلك أمثلة كثيرة . . .

فقد جاء حكيم بن حزام : فسأله أن يعطيه فأعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة — ولكنه — لم يتركه هذه المرة لينفقها دون وعى فيعود فقيراً كما كان ، وإنما عليه أن يكسب منها قوته فقال يا حكيم : « إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بشح نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالأرض السبخة التى لا ترتوى من الغيث . أو كمن يأكل ولا يشبع . . » ما معناه .

ويجيئه شاب فى مسجده فيسأله أن يرخص له فى الزنا ، فما يثور فى وجهه ، وإنما يتركه فيسأله ثانية وثالثة فكان ذلك أجمع لقلوب أصحابه ليروا كيف يربى هذه النفس الشاردة فيقول والصحابة يسمعون : أتحب ذلك لأمك ؟ . قال : لا . . قال : أتحبه لأختك ؟ . قال : لا . قال : أتحبه لبنتك لوكان لك بنت قال : لا . . قال : هكذا الناس لايحبونه لأمهاتهم وأخواتهم وبناتهم ، ولكن أعندك من مال تتزوج به . . قال : لا فبعث فى طلب مال من بيت المال وقضى له حاجته بزواج كريم وصلة إنسانية شريفة . . .

فليدلونا على مرب كهذا المربى الكريم ربى بالحكمة والموعظة الحسنة فى تواضع جم ، وصداقة كريمة فصنع أمة كانت أمة التاريخ والخلود وجيلا أحبه كما لم يحب جماعة قائدهم فأقبلوا عليه يغترفون من فيض حكمته ، ويفدونه بالمهج والأرواح . . ذلك إنتاج ما فوق العبقرية إنتاج أزكى نفس عرفتها البشرية .. إنتاج محمد وكفى . (يتبع)

أخبار صوفية

المشيخة الصوفية وأعياد ٢٣ يوليو

احتفلت المشيخة الصوفية العامة بالعيد التاسع للثورة المباركة فأعدت برنامجاً لذلك وقد اشترك رجال الطرق الصوفية فى استقبال السيد الرئيس مساء السبت ٢٢ يوليو سنة ١٩٦١ على جانبى الطريق المؤدى إلى ميدان الجمهورية بأعلامهم وشاراتهم يتلون الأدعية ويهللون ويكبرون . وفى المساء أقامت المشيخة العامة احتفالا صوفياً ضم شيوخ الطرق الصوفية ورجالها حيث تليت آيات الكتاب الحكيم ، وأقيمت الأذكار الشرعية وألقيت الكلمات المناسبة واختتم الحفل بالدعاء لبطل السلام وقائد العروبة بالنصر والتأييد .

المجلس الصوفى الأعلى

انعقد المجلس الصوفى الأعلى بدار المشيخة العامة مساء الثلاثاء ٥ صفر سنة ١٣٨١ الموافق ١٨ يوليو سنة ١٩٦١ واتخذ القرارات التالية :

المولد النبوى الشريف عام ١٣٨١ هـ

قرر المجلس تشكيل لجنة من السيد ميرغنى الأدريسى شيخ السادة الأدريسية والسيد محمود كامل يسن الرفاعى شيخ السادة الرفاعية والسيد محمد حسن شمس الدين شيخ السادة الأحمدية المرازقه لوضع ترتيبات الاحتفال بالمولد النبوى الشريف هذا العام وكذلك الاتصال بالجهات ذات الشأن فى كل ما يتعلق بشئون الاحتفال بالمولد الشريف وكذلك وضع السرادقات بساحة المولد ونظام الأحياء بها حتى يتم الاحتفال بهذه الذكرى الشريفة على أتم وجه وأكمله .

مصـــــالحه

كما قرر المجلس تشكيل لجنة من السيد محمد حسن شمس الدين شيخ السادة الأحمدية

المرازقه والسيد سلامه محمد نويتو والسيد سكرتير المشيخة العامة لحسم موضوع النزاع القائم بين كل من مشيخة السادة التغلبية ومشيخة السادة السعدية على تبعية بعض الخلفاء فى نواحى مختلفة ومحاولة إنهاء النزاع ودياً وتقديم تقرير بأعمال اللجنة وما تصل إليه من حلول إلى المجلس بعد الانتهاء من مهمتها .

جزاء تأديبى

كما قرر المجلس طرد المدعو محمد محمد موسى المقيم ببندر المحلة الكبرى من عداد الطرق الصوفية حيث ثبت للمجلس مخالفته للمواد الواردة بلائحة الطرق الصوفية ولائحة الإجراءات الداخلية بانتمائه لطريقة السادة القادرية القاسمية وخروجه على طريقته الأصلية التى أخذ العهد الصوفى بسندها وهى طريقة السادة الشناوية والأحمدية .

تعيينات

كما قرر المجلس تعيين كل من خدم للأضرحة الآتية : —

١ — تعيين الشيخ عبد الفتاح سالم العجوزة خليفة خلفاء السادة البيومية خادما لضريح « سيدى عبد المعطى » الكائن بناحية الفرعونية مركز أشمون .

٢ — تعيين كل من الشيخ عبد الونيس عوض قاسم والشيخ جمعه محمد باشا قاسم خادمين لضريح « الشيخ أبو حامد الغزالى » الكائن بناحية قصر الباسل مركز اطسا .

٣ — تعيين الشيخ عبد المنعم شحاته عطيه سلام خادما لضريح « سيدى جمال الدين أبو الفتح الفنوى » الكائن بناحية الكرما مركز السنطه .

اعتماد تعيين نواب لبعض الطرق الصوفية

اعتمدت المشيخة العامة تعيين كل من : —

١ — السيد محمد شحاته نائبا لطريقة السادة الأحمدية المرازقة بنقطة كفر غنام مركز السنبلاوين .

٢ — الشيخ على محمد الحسينى من الكديون مركز كفر الدوار خليفة خلفاء لطريقة السادة الأحمدية المرازقة بمركز كفر الدوار .

٣ — الشيخ نصر ابراهيم آدم نائبا لطريقة السادة الشعبية الأحمدية عن بندر ونقطة قها قليوبية .

فقيد كريم

تنعى المشيخة الصوفية العامة بمزيد الأسى رجلا من رجالات التصوف المشهود لهم بصفاء النفس والصلاح والاجتهاد المغفور له : « السيد محمد السيد مجاهد »

والمشيخة إذ تذكر للفقيد الكريم حسن الشمائل تطلب له من الله القدير المثوبة والمغفرة جزاء على ما قدمته يداه للتصوف من أجل الخدمات .

فقيد عزيز

السيد عبد المقصود عز الدين الجبالى وكيل المشيخة الصوفية العامة والتاجر بمصر ينعى صديقه الوفى المرحوم « السيد محمد السيد مجاهد » نقيب الأشراف ، وينعى فيه دماثة الخلق وعفة النفس وجميل الصفات .

وافاك القضاء وعجزت الأطباء فبجوار ربك مع الصديقين والشهداء فلنا الصبر ولأسرتك العزاء .

فقد كريم

عبد الجليل الزينى وكيل مشيخة الطرق الصوفية يشارك أحبابه وأصدقاءه من أسرة أبو النصر بكفر الدفراوى مركز شبراخيت مصابهم فى فقد عميدهم الكريم المرحوم الأستاذ محمود أبو النصر تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

بنـــك التسليف الزراعى والتعـــاونى

يهـــنىء بعيـــد الثورة المباركة التاسع

لقد كان يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ميلاد فجر جديد فى تاريخ نهضتنا وسيظل أبد الدهر علماً من أعلام تاريخنا المجيد وسيذكر التاريخ دائماً كيف قامت البلاد قومة رجل واحد تدافع عن حريتها المقدسة وتزود عن أرضها وترفع راية النصر خافقة أمام العالمين

و بنك التسليف الزراعى والتعاونى

يقدم أخلص التهانى فى هذا اليوم المبارك الذى تأكدت فيه عزتنا وكرامتنا .

للسيـــد / الرئيس جمال عبد الناصر

و إلى شعب الجمهورية العربيـــة المتحـــدة

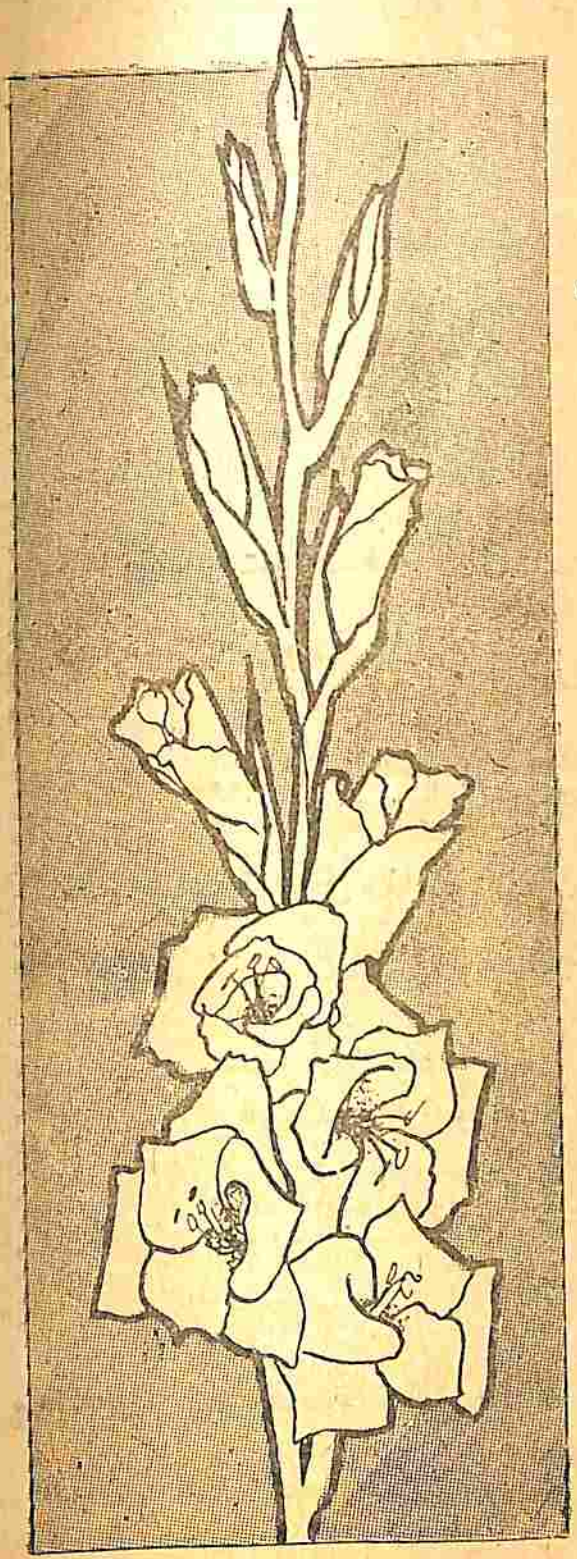

الهيئة العامة لتنمية الصادرات

٢٣ شارع سليمان باشا

بصلة جلاديولس

تقوم الهيئة بزراعة حوالى ٧٥٠ ألف بصلة جلاديولس من الأصناف الحديثة الممتازة وسوف توزع أبصالها بعد معاملتها بالثلاجات فى أواخر سبتمبر القادم بأسعار التكلفة والتى ستحدد فيما بعد .

وعلى الراغبين من مزارعى الأزهار التقدم بطلباتهم للهيئة مصحوبا بتأمين قدره خمسة جنيهات عن كل ألف بصلة

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد خلف الله أحمد
الدكتور مصطفى كمال وصفى
الدكتور محمد وصفى
الأستاذ محمد أبو زهره
الأستاذ محمود أبورية
الأستاذ عبد السلام محمد الكوبره
الأستاذ محمد محمود بحبح
الأستاذ حامد محمود الزفرى

الأستاذ محمد عيد الشافعى
الأستاذ سعيد حمزة مكرم
الأستاذ محمود شلبى
الأستاذ جابر سيد الجزار
الأستاذ فوزى عرفه
الأستاذ حسنى طه شكيبان
الأستاذ عبد الحفيظ القرنى
سماحة السيد محمد محمود علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : منهج التصوف
قصص صوفى : أخبار صـــوفية

الثمن ٥ قروش

القاهرة : مطابع دار الكتاب العربى بمصر : محمد حلمى المنياوى